

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٣١٣ - محرم ١٤١١ هـ - اغسطس ١٩٩٠م

هدية العدد
مجلة براعم الإيمان
عدد ممتاز
والتقويم الهجري

غزة
مدينة الصمود
والعزة ص ٧٤

وكالة الأنباء
الإسلامية
الدولية ص ٩٢

السنة السابعة والعشرون - العدد ٣١٣ - محرم ١٤١١ هـ - اغسطس ١٩٩٠م

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواه مسلم


اقرأ في هذا العدد



AL - WAIE AL - ISLAMI

العدد ٣١٣ ـ محرم ١٤١١ هـ ـ اغسطس ١٩٩٠م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي
ص . ب: (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

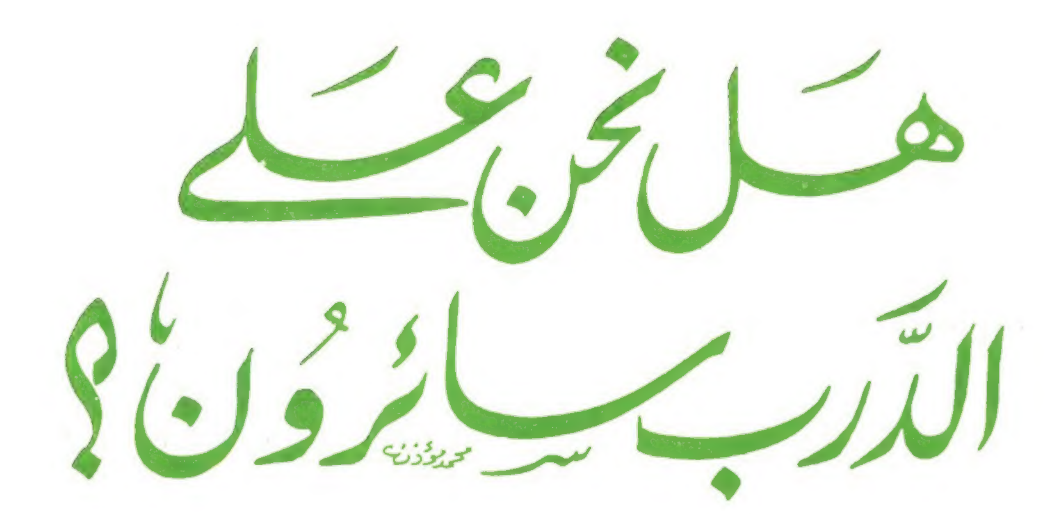
هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠
فاكسميلي ٢٤٤٩٩٤٣

الثمن

الكويت	٢٥٠ فلسا	الأردن	٥٠٠ فلس
مصر	٥٠ قرشاً	صنعاء	٥ ريالات
السودان	جنيه واحد	عدن	٢٥٠ فلس
السعودية	٤ ريالات	قطر	٤ ريالات
الامارات	٤ دراهم	سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
البحرين	٣٠٠ فلس	المغرب	٥ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٤٠٠ فلس كويتي





رجال صنعوا تاريخاً:

بشهر الله المحرم يبدأ عام جـديد، وتـطل على الدنيـا ذكرى الهجرة المحمـدية، وبهـذه الذكرى تقـرأ الأجيال المتلاحقة تـاريخا اسـلاميا حـافلا بـالأمجاد سجـل على صفحاته الخالدة انتصار الحق على الباطل بعد انطلاق الدعوة الحبيسة في مكة الى المدينة أولا ثم الى كل الآفاق ثانياً، وقد رفع أعلامها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وفي كل الأرجاء انطلق صوت الحق يردد كلمة لا إله إلا الله.



النصر للمؤمنين

مهما كانت قوة الأعداء:

نعم. لانتصار الحق نشوة، ولذكرياته فرحة، ولكن الأمة في أحداثها المعاصرة لاتحس بهذه الفرحة لما يخالط النفوس من كدر وما يغالبها من كثير الهم والأسى، حيث يشتد الصراع بين الحق الأعزل والباطل المسلح، وتبقى الأمة مغيبة في اهوائها مشغولة عن مصيرها ثم تطلب العزة ممن يريد لها الذلة وترجو الخير من أهل الشر! ومن المؤسف حقا ان تتجدد آمال العرب والمسلمين في الحل، كلما انعقدت قمة الكبار في الشرق أو في الغرب، وسرعان ما تخيب هذه الآمال بإسقاط حسابنا وتجاهل قضايانا..!

لقد وقفنا مع أنفسنا وقفة حساب وطال بنا الوقوف من غير أن نتحرك خطوة على الطريق، وكلما بدأت تغلي دماء العزة في عروقنا ينشط الاعداء في تخويفنا وارهابنا وهم يلوحون باسلحة الابادة والدمار ويطوقون الأمة بأحزمة الضغوط النفسية لتظل سائرة في القافلة المقهورة وما ينبغي أن يغيب عن فكر المسلم ووعيه، ان النصر ليس بقوة الحديد والنار ولكنه من عندالله القوي القادر وأن من كان مع الله يؤيده بنصره ولو اجتمعت الدنيا على حربه وصدق الله العظيم: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم» آل عمران/ ١٢٦.

لله جنود:

على هذا المنهج ربى الرسول صلى الله عليه وسلم



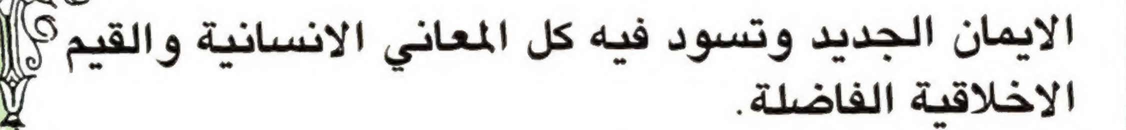
اتبـاعه، خـاضوا المعـارك بسلاح الايمـان، وانتصـروا بالنبال على قذائف الفرس والرومان، وثبتوا علم الاسلام فوق عرش كسرى وقيصر، وهكذا يـوم كانت الأمـة على طريق الله ايدهم بجنده، ولله جنود فوق قدرة الخلق وفوق حساب البشر وصدق الله العظيم: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين» التوبة/ ٢٦ .

أسلحة النصر: قيادة، وحدة، إخاء:

هـذا ولا شك يغـري الأمة بـالسـير عـلى منهـج الله والاعتصـام بحبله من جديـد، يومهـا يخـاف المعسكـر المعادي مهما ملك من سلاح من أمة توحدت بعـد فرقـة وقـويت بعد ضعف وهـوان، بين ذلك مستشـرق خبـير بطبيعة الاسـلام وجاء في بيـانه «الحـركات الاسـلامية لاينقصها الا وجود الزعامة لاينقصها الا ظهور صـلاح الدين من جديد!! نعم ليس ذلك بعزيز على أمة دعاها دينها للوحدة والى الاعتصام بالله ».

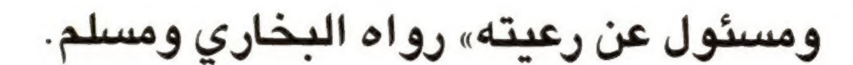
وممـا لاشك فيـه أن الوحدة هي طريق الخـلاص إن بعدت عن الشعارات وقامت على الاخاء وتحمل التبعات وتناسى الاحقاد. أما الاخاء فهو قضية بدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم عمله من أول أيام الهجرة، بادر بالاخاء بين المهاجرين والانصار وفي اطار هذه الاخـوة تحرك الفـرد بروح الجماعة ومصلحتها ولم ير لنفسه كيانا دونها ولا وجودا إلا بها وكانت عواطف الايثار والحب تملأ مجتمع

الايمان الجديد وتسود فيه كل المعاني الانسانية والقيم الاخلاقية الفاضلة.



نحن مسئولون جميعاً عن واقعنا:

أما تحمل المسئولية والقيام بتبعاتها فهذا أمر واجب على الافراد والجماعات وعلى القادة والشعوب فعلى كل فرد من ابناء الأمة ان يكون لبنة في بناء صرحها ودما حارا يجري في عروقها يؤدي الواجب قبل أن يطلب الحق وفي كل أمسية يسائل نفسه ماذا أنجز من عمل وماذا قدم لوطنه ونفسه ومجتمعه والى أي مدى كان موقفه من تحمل المسئوليات؟ ومما هو جدير بالذكر ان المواقف السلبية والقاء التبعة على الغير يورث البطالة والكسل، ويزيد من الاحقاد ويشعل الفتن، وقد كان من أسباب سقوط الشعوب وزوال كثير من الأمم الهروب من المسئوليات والاقتصار على الشكوى واطلاق الصرخات، إن ما تعانيه الأمة من انتكاس واحباط هو بسبب منها حين تكثر السلبيات وتغيب الايجابيات، وتتجه أصابع الاتهام في كل مجال من مجالات الحياة كل طائفة تلقي التبعة على غيرها فيما اصاب الأمة من تخلف وفساد، وهم يعلمون أن المسئولية مشتركة بين القادة والشعوب والافراد والجماعات وأن الكل مجند في الميدان كما قال صلى الله عليه وسلم «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الامام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع

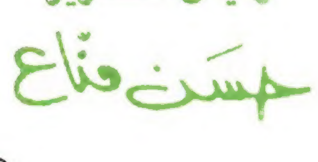

ومسئول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم.

طريق الخلاص :

إن الخلاص قريب اذا عرفت الأمة طريقها وسارت تحت راية عقيدتها واعتصمت بحبل الله لا بحبل الناس، هذا هو الحل ولاحل سواه، هذا هو سبيل الوحدة التي اكدها الحق في كتابه الكريم بقوله سبحانه: «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» الأنبياء/ ٩٢. ومن المؤكد ان أهم عنصر تقوم عليه الوحدة المنشودة هو صفاء القلوب من الأحقاد، ورحم الله خالد بن الوليد لما عزله الخليفة عمر رضي الله عنه عن القيادة وهو في قمة الانتصارات وعلم باستعمال أبي عبيدة بن الجراح مكانه لم يخالف امر الخليفة ولم يحقد على ابي عبيدة، بل قال للناس عن أبي عبيدة: «بعث عليكم أمين هذه الأمة» وأبو عبيدة يبادله التقدير بقوله: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خالد سيف من سيوف الله، نعم فتى العشيرة...» ويسير خالد راضي النفس جنديا في الجيش كأن شيئا من أمور الدنيا لم يحدث!!.

تلك هي آثار العقيدة الاسلامية وجدت أرضا خصبة في النفوس فتغلغلت في أعماقها وآتت أكلها ضعفين.

فهل نحن على الدرب سائرون وهل صدقت النوايا وصحت العزائم لانتزاع الحق المغتصب في عامنا الجديد؟!



في مدح الرسول الأعظم

١٠

فَيَمَّمَ الْكُدْرَ بِالأَبْطَالِ مُنْتَحِياً بَنِي سُلَيْمٍ فَوَلَّتْ عَنْهُ بِالرَّغَمِ (١)

وَسَارَ فِي غَزْوَةٍ تُدْعَى السَّوِيقَ بِمَا أَلْقَاهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ عُظْمِ زَادِهِمِ (٢)

ثُمَّ انْتَحَى بِوُجُوهِ الْخَيْلِ ذَا أَمَرٍ فَفَرَّ سَاكِنُهُ رُعْباً إِلَى الرَّقَمِ (٣)

وَأَمَّ فُرْعاً فَلَمْ يَثْقَفْ بِهِ أَحَداً وَمَنْ يُقِيمُ أَمَامَ الْعَارِضِ الْهَزِمِ (٤)

وَلَفَّ بِالْجَيْشِ حَيْ قَيْنُقَاعَ بِمَا جَنَوْا فَتَعْساً لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَزَمِ (٥)

---

(١) يمم الكدر قصده بعد سبع ليال من قدومه من بدر . والكدر موضع لبني سليم على ثمانية برد من المدينة منتحياً قاصدا . فولت أي فوجدها فرت وقد تركت نعمها فظفر بها وكانت خمسمائة بعير (٢) سار أي في مائتين من أصحابه في الخامس من ذي الحجة حين بلغه اغارة أصحاب أبي سفيان ليلا بمساعدة سيد بنى النضير على ناحية من المدينة وحرقهم نخلاً منها وقتلهم رجلاً من الانصار وآخر حليفا لهم فوجدهم هربوا طارحين عامة أزوادهم تخفيفاً لرواحلهم . السويق دقيق الشعير أو السلت المقلو ويكون من القمح والاكثر جعله من الشعير (٣) ذا أمر موضع بنجد من ديار غطفان « وغزوته تسمى بغزوة غطفان أيضاً » خرج اليه صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الاول من السنة الثالثة وكان في أربعمائة وخمسين رجلا يريد جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بلغه أنه قصد الاغارة . فر ساكنه أي لما سمع بخروجه . الرقم جبال دون مكة بديار غطفان (٤) الفرع قرية على ثمانية برد من المدينة « أو أربع ليال » وغزوته تسمى أيضاً غزوة بحران « بضم وفتح موضع بناحية الفرع » خرج اليه في ثلاثمائة لست من جمادي الاولى . يثقف يصادف . العارض السحاب المعترض في الافق . الهزم الذي لرعده صوت (٥) بنو قينقاع « بالتثليث والضم أشهر » حي من اليهود كانت

وَسَارَ زَيْدٌ بِجَمْعٍ نَحْوَ قَرْدَةَ مِنْ ... مِيَاهِ نَجْدٍ فَلَمْ يَثْقَفْ سِوَى النَّعَمِ (١)

ثُمَّ اسْتَدَارَتْ رَحَا الْهَيْجَاءِ فِي أُحُدٍ ... بِكُلِّ مُفْتَرِسٍ لِلْقِرْنِ مُلْتَهِمِ (٢)

يَوْمٌ تَبَيَّنَ فِيهِ الْجِدُّ وَاتَّضَحَتْ ... حِلْيَةُ الأَمْرِ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالسَّأَمِ

قَدْ كَانَ خُبْرًا وَتَمْحِيصاً وَمَغْفِرَةً ... لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَلْ بُرْءٌ بِلاَ سَقَمِ (٣)

مَضَى عَلِيٌّ بِهِ قُدْماً فَزَلْزَلَهُمْ ... بِحَمْلَةٍ أَوْرَدَتْهُمْ مَوْرِدَ الشَّجَمِ

منازلهم في بطحان « بضم وفتح فسكون » واد بظاهر المدينة ، وكانوا أشجع اليهود وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبيّ ابن سلول . بما جنوا أي من اظهارهم البغي والحسد ونبذ العهد لما كانت وقعة بدر وكان عليه السلام عاهدهم على أن يكونوا معه لا عليه ، وسبب نقضهم العهد أن زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو جاست الى صائغ منهم فراودها جماعة على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت فوثب مسلم على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فتواثب المسلمون من كل جهة فبلغ الخبر النبي عليه السلام فقال ما على هذا أقررناهم ثم سار اليهم في نصف شوال وحاصرهم خمس عشرة ليلة وأجلاهم الى الشأم . القزم الاراذل السفلة

(١) سار زيد يعني ابن حارثة بجمع وكان مؤلفا من مائة راكب لملاقاة تجار قريش وكانوا سلكوا طريقا غير الطريق المعتاد بعد ما كان من وقعة بدر فلقيهم فأصاب العير بما فيها وقدم على الرسول تخمسها فبلغ الخمس ٢٠ ألف درهم وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة الثالثة (٢) أحد جبل بالمدينة وغزوته كانت في ١١ شوال سنة ٣ وسببها أن قريشاً لما أصابهم يوم بدر ما اصابهم أجمعوا على حربه صلى الله عليه وسلم وساروا اليه وكانوا ثلاثة آلاف ومعهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، وكانت المسلمون سبعمائة . المفترس الاسد . الملتهم المبتلع (٣) التمحيص الابتلاء والاختبار

وَأَظْهَرَ الصَّحْبُ وَالأَنْصَارُ بَأْسَهُمُ ... وَالْبَأْسُ فِي الْفِعْلِ غَيْرُ الْبَأْسِ فِي الْكَلِمِ (١)

خَاضُوا الْمَنَايَا فَنَالُوا عِيشَةً رَغَدًا ... وَلَذَّةُ النَّفْسِ لاَ تَأْتِي بِلاَ أَلَمِ

مَنْ يَلْزَمِ الصَّبْرَ يَسْتَحْسِنْ عَوَاقِبَهُ ... وَالْمَاءُ يَحْسُنُ وَقْعاً عِنْدَ كُلِّ ظَمِ (٢)

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي احْتِمَالِ الصَّبْرِ مَنْقَبَةٌ ... لَمْ يَظْهَرِ الْفَرْقُ بَيْنَ اللُّؤْمِ وَالْكَرَمِ (٣)

فَكَانَ يَوْماً عَتِيدَ الْبَأْسِ نَالَ بِهِ ... كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ جَهْدًا وَارِيَ الْحَدَمِ (٤)

أَوْدَى بِهِ حَمْزَةُ الصِّنْدِيدُ فِي نَفَرٍ ... نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ الْعَارِضِ الرَّزِمِ (٥)

أَحْسِنْ بِهَا مِيتَةً أَحْيُوا بِهَا شَرَفاً ... وَالْمَوْتُ فِي الْحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ الْقُدُمِ (٦)

لاَ عَارَ بِالْقَوْمِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ سَلَبٍ ... وَهَلْ رَأَيْتَ حُسَاماً غَيْرَ مُنْثَلِمِ (٧)

فَكَانَ يَوْمَ جَزَاءٍ بَعْدَ مُخْتَبَرٍ ... لِمَنْ وَفَا وَجَفَا بِالْعِزِّ وَالرَّغَمِ

قَامَ النَّبِيُّ بِهِ فِي مَأْزِقٍ حَرِجٍ ... تَرْعَى الْمَنَاصِلُ فِيهِ مَنْبِتَ الْجُمَمِ (٨)

فَلَمْ يَزَلْ صَابِرًا فِي الْحَرْبِ يَفْثَؤُهَا ... بِالْبِيضِ حَتَّى اكْتَسَتْ ثَوْباً مِنَ الْعَنَمِ (٩)

---

(١) بأسهم أي شجاعتهم وشدتهم (٢) الوقع القدر والشأن (٣) المنقبة المفخرة والفعل الكريم (٤) العتيد الشديد. الواري من وري الزند اتقد وظهرت ناره سريعا. الحدم شدة احماء الشيء بحر الشمس والنار (٥) أودى هلك. الصنديد السيد الشجاع العارض الرزم السحاب الذى لا ينقطع رعده، أراد به الغبار المثار من حوافر الخيل (٦) القدم الشجعان (٧) المنثلم المنكسر الحد (٨) المأزق الموضع الضيق الذي يقتتل فيه. المناصل السيوف. منبت الجمم أى مكان نبتها وطلوعها يعني به الرقاب (٩) يفثؤها يسكنها ويكسر حدتها

من كتاب كشف الغمة في مدح سيد الأمة

لمؤلفه: محمود سامي البارودي

البلاغة القرآنية فوق النقد والتجريح

للدكتور/عبد الفتاح محمد محمد سلامه

من نافلة القول: أن القرآن الكريم معجز بنظمه وبلاغته في الدرجة الأولى، فإن هذه قضية فرغ منها العلماء وأقطاب البيان، وحسمها المتمهرون في صناعة الكلام!!!!! وليس من ريب أن كل عاقل حصيف يتذوق طعوم الأساليب وفنونها، ويقف على غثها وسمينها، لا مندوحة له من الاعتراف بتلك الحقيقة، ثم تسجيلها، إن بلسان الحال، وإن بلسان المقال:

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء

ولو كان في بلاغة القرآن مغمز يؤخذ عليه، لتلقفه العرب الأولون الذين كانوا يحلقون في شأو من البيان منيع، وحصن من البلاغة رفيع... ولكن قال قائلهم بعد أن صافح الذكر الحكيم سمعه، وداعب حسه:

«والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما سمعت مثله قط، فما هو من كلام

الانس، ولا هو من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه..»

وأحيانا تكون الشمس طالعة مشرقة، متوهجة متألقة، ثم يأتي إنسان أرمد العينين، فيلغي وجودها، ويمسح من الحياة دورها:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

وبمثل هذه النوعيات الفجة التي تنكر الحقائق بعد تبلجها، وإسفارها، وتلألئها، لمرض في النفوس، أو غشاوة في العيون.. صدم القرآن!!

لقد انبرت جماعة حظها من اللغة قليل، ورصيدها من البلاغة هزيل، وأثارت حول النظم القرآني شبهات، وما هي بشبهات، ولكنها أقاويل، الباعث عليها جهل فاضح بأساليب التنزيل:

فهم يقولون: إنا لا نسلم لكم ما ادعيتموه من أن العبارات الواقعة في القرآن وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها، لوجود أشياء منها بخلاف هذا الوصف عند أهل المعرفة باللغة:

كقوله تعالى: «**فأكله الذئب**»..يوسف/ ١٧

..قالوا: الفصيح المختار في معناه: فافترسه الذئب.. لأن الأكل يشارك فيه الانسان كل أنواع الحيوان!!!

وكقوله تعالى: «**هلك عني سلطانيه**»..الحاقة/ ٢٩..

قالوا: الهلاك في الأعيان والأشخاص، تقول: هلك زيد، ولا تقول: هلك جاهه أو سلطانه، وإنما تقول: ذهب سلطانه..

وكقوله تعالى: «**والذين هم للزكاة فاعلون**..».. المؤمنون/ ٤

والأبلغ أن يقال: زكي الرجل ماله، ولا يقال: فعل الزكاة..

ومن ذلك قوله تعالى: «**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم**».. الحج/ ٢٥

قالوا: لا موضع لزيادة الباء في «بإلحاد»، فلو قيل: «إلحادا بظلم».. لكان أحسن!!!

واعترضوا على قوله تعالى: «**كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون**..».. الأنفال/ ٥.. عقب قوله: «**أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**» الأنفال/ ٤

قالوا: فكيف يتسق هذا مع ذاك؟؟

واعترضوا أيضا في الحذف فقالوا: إن حذف جواب الشرط في قوله تعالى: «**ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به**

الموتى..».. الرعد / ٣١... تبتير للكلام وإبطال لفائدته..

تلك مجموعة من الشبهات أثاروها، وتصوروا أنهم بها قد أصبحوا على شيء، وما دروا أن مثلهم مع البلاغة القرآنية كما عبر الشاعر حين قال:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعِلُ

شبهات باطلة:

إن نظرة سديدة إلى هذه الشبهات - إن صحت تسميتها بالشبهات - تجعلها تتهاوى الواحدة تلو الأخرى:

فأما شبهتهم في قوله تعالى: «**فأكله الذئب**» فإن الافتراس الذي يتوهمونه معناه في فعل السبع القتل فقط، وأصل الفرس: دق العنق.. والقوم قد ادعوا أن الذئب قد أكله تماما، وأتى على جميع أعضائه وجسده، حتى لا تكون لأبيهم مطالبة بشيء من جسده، (أي جسد يوسف)... لأجل هذا كان قوله تعالى«**فأكله الذئب**»أبلغ من أي تعبير آخر يزعمونه أو يفترونه..

ولذلك شاهد من الشعر العربي

قال العباس بن مرداس:

أبا خراشة أما أنت ذانفر
فإن قومي لم تأكلهم الضبع

ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي لهب قائلا: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك».. ثم كان في تجارة إلى الشام، وطاف بهم أسد في أثناء الطريق فجعل عتبة يقول: أكلني السبع. فلما كان في بعض الليل علا عليه الأسد ففدغ رأسه...

وأما شبهتهم في قوله تعالى: «**هلك عني سلطانيه**»وزعمهم أن الهلاك لا يستعمل إلا في تلف الأعيان.. فإنهم مازادوا على أن عابوا أفصح الكلام وأبلغه..

وقد تكون الاستعارة في بعض المواضع أبلغ من الحقيقة كقوله تعالى: «**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار**».. يس / ٣٧..

والسلخ هنا مستعار لاخراج النهار من ظلمة الليل، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة.. «فهلك» مستعار لانتهى أو ذهب..

وعلى هذا النحو قوله تعالى: «**هلك عني سلطانيه**».. وذلك أن الذهاب قد

يكون على مراصدة العودة، ولكن مع الهلاك لا يكون بقيا ولا رُجْعى.. ومن جهة ثانية فقد قيل: إن معنى السلطان هنا الحجة والبرهان!!!

وأما شبهتهم في قوله تعالى: «**والذين هم للزكاة فاعلون**».. وتفضيلهم لألفاظ الأداء والايتاء والاعطاء ونحوها... على لفظ «فاعلون».. فيمكن القول: إن هذه العبارات التي أرادوها لا تفيد أكثر من مجرد الاخبار بأدائها..

أما مراد الآية: فأكثر من هذا، ذلك لأن لفظ «فاعلون» يفيد الاخبار بالمبالغة في أدائها، والمواظبة عليه، حتى يكون ذلك صفة لازمة لهم، فهم للزكاة فاعلون، وبهذا الفعل يعرفون... وهذا لا يستفاد إلا من عبارة القرآن، فهي أبلغ ما يمكن أن يقال في هذا الموطن..

ومن جهة أخرى فقد قيل: إن معنى الزكاة هنا العمل الصالح، وعليه يكون المعنى: والذين هم للأعمال الصالحة فاعلون!!!

وأما قوله تعالى: «**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم**».. ودخول الحرّف فيه: فإن حرف الباء كثيرا ما يوجد في كلام العرب الأول الذي نزل القرآن به، وإن ندر وجوده وعزّ في كلام المتأخرين..

وقد كان القرشيون حريصين على أن يجدوا في القرآن مطعنا، ولو كانت هذه الباء مغمزا لغويا لما سكتوا، ولأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، ولكنهم لم يفعلوا، فدل ذلك على بلاغة وضعها في مقامها الذي وردت فيه..

فهذه الباء في قوله «**بإلحاد بظلم**»: قد قيل فيها: إن الباء زائدة، والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم... والباء قد تزاد في مواضع من الكلام ولا يتغير بذلك المعنى... كقول الشاعر:

نحن بني ضبة أصحاب الفلج
نضرب بالسيوف ونرجو بالفرج

والتقدير: ونرجو الفرج!!!

على أنه ليس بالضرورة أن تكون الباء ـ هنا ـ زائدة، فقد يراد منها معنى الملابسة، ويصبح المعنى: ومن يتلبس فعله بإلحادٍ بظلم، أي بسبب ظلم....

وأما قوله تعالى: **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و إن فريقا من المؤمنين لكارهون..**».. فقد كان ذلك يوم بدر حين أراد المسلمون ان يستولوا على أموال قريش القادمة من الشام لتكون تأديبا لهم، وتعويضا للمسلمين عما حل بهم ولكنها فلتت، وخرجت قريش لتأديب المسلمين، فخرج المسلمون للقائهم، وكان البعض كارهين لقاء العدو، ثم اختلف بعضهم في الأنفال، بعد أن من الله عليهم بالنصر!!!

ومن ثم فقد أمرهم الله أن يطيعوا نبيه الكريم، وألا يعترضوا عليه فيما

يفعله إن كانوا مؤمنين..

وقد أشارت الآيات إلى أن كراهتهم لما فعله الرسول في الغنائم ككراهتهم للقتال في أول الأمر..

وقيل: إن «كما» صفة لفعل مضمر وإن تأويله: افعل في الغنائم كما فعلت في الخروج إلى بدر وإن كره القوم ذلك!!!

وأما ما افتروه على الحذف والاختصار كما تراه مثلا في قوله تعالى: «**ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى**» الرعد/ ٣١

فإن الإيجاز في هذا الموطن هو الملائم والمناسب، لأن حذف ما يستغنى عنه الكلام نوع من أنواع البلاغة... وإنما حسن حذف الجواب في الآية الكريمة السابقة، لأن الشرط فيها يدل على ذلك الجواب المحذوف والتقدير: لكان ذلك القرآن!!!

يقول الخطابي: والمعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به..

والتقدير: لكان هذا القرآن.. وقد قيل: إن الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصورا على هذا الوجه الذي تناوله الذكر!!!

ومثل ذلك قوله تعالى: «**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها..**».. الزمر/ ٧٣..

فإن المعنى: كأنه قيل: لما دخلوها حصلوا على النعيم المقيم الذي لا انقطاع له ولا تكدير فيه...

والتكرار في ذلك مثل الحذف: يستحسن ويمدح في الأمور الهامة التي تعظم العناية بها، ويخاف بتركه الوقوع في الغلط والنسيان!!!

وأنت قد تقول لعامل: عجل عجل... ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص:

هلا سألت جموع كندة
يوم ولوا أين أينا

وقد بين الله السبب الذي من أجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن فقال سبحانه:

«**ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون**».. القصص/ ٥١ ..

وقال: «**وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا**».. طه/ ١١٣

تلك لمحات من بلاغة القرآن، تلقم من ينكرونها الأحجار!!!



ينتصر وأهله غالبون، وينتصر وأهله متراجعون بقوته الذاتية، ومبادئه الالهية سرى الاسلام غازيا منتصرا، فاتحا لمغاليق القلوب، غالبا لأهواء النفوس، يخالط بشاشته الارواح، فتشرق حينذاك بنور الله، فلا تقبل ظلمة بعد، ولا يرتد احد اهتدى بهداه سخطة لدين الله، كما شهد له الاعداء، وزكى شهادتهم هرقل ملك الروم

ما الذي دفع هؤلاء الرجال الاشداء من مهاجري الحبشة ـ نيف وثمانين رجلا ومعهم بعض نسائهم، يتركون ديارهم واموالهم مهاجرين يركبون البحر الى بلد أجنبي، لائذين بجوار ملك لايظلم احد عنده شيئا، وقد كانوا في بلادهم ومع قومهم ـ لوشاءوا ـ اعزة آمنين؟

إنه الاسلام يغلبهم على قلوبهم، فيملؤها من نوره ايمانا بالله، يهون

معه كل عرض من اعراض الدنيا، فيتجهون حيث يقيمون شعائر دينهم آمنين، لايضرهم مايحاك لهم من قريش أو من حاشية الملك من مؤامرات، حتى ينتصر الاسلام في المدينة، فيعودوا ليحيوا حياتهم في الامة الاسلامية التي ترفع كلمة الله.

بل ماالذي استقر في قلوب المستضعفين من المؤمنين فغلب عليها، حتى استنفدت جبابرة قريش صنوف العذاب، ليعيدوهم الى عبادة الاصنام وهم يرفضون؛ حتى استشهد منهم من استشهد، وهم صابرون؟

لقد غلب الاسلام على اقوى القلوب وامضاها في الكفر شكيمة واشدها في مقاومة الاسلام والمسلمين ضراوة، حتى حدثته نفسه ان يحتمل وحده عن قريش عبء الخلاص من الدعوة والداعي، فيمضي في اهبة حربية مجمعا ان ينتصر لآلهته وينتصف لقريش جميعا، ممن عاب آلهتهم، وسفه احلامهم، وفرق جماعتهم، فيقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقضي على الدعوة حتى هيأ الله له ان يقرأ بنفسه آيات من اول سورة طه: **(... تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلا.الرحمن على العرش استوى.له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى.الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى)**طه/ ٤ـ٨.

فيغلبه نور الله وروعة آياته، فاذا هو يسأل ماذا يصنع ليدخل الاسلام؟ ثم يذهب الى حيث الرسول صلوات الله وسلامه عليه مع جمع من اصحابه في دار الندوة، وهو في هيئته الحربية التي كان عليها، فيفزع لمرآه بعض من في الدار قائلا: عمر وسيفه على عاتقه..

فيقول حمزة ائذنوا له، فان اراد خيرا قضيناه له، وان اراد شرا قتلناه بسيفه، ويتولى القائد الاعظم بنفسه زمام الواقعة، ويمضي الى عمر بالباب، ويمسك بتلابيبه وحمالة سيفه قائلا: ماجاء بك يا ابن الخطاب؟ ثم يجذبه جذبة شديدة فيخر جاثيا على ركبتيه يقول: جئت يارسول الله لأسلم، فيكبر الرسول ويفرح المؤمنون بنصر الله، وقد استجاب الله دعاء رسوله ان يعز الاسلام بأحب العمرين اليه: عمرو بن هشام، او عمر بن الخطاب، وقد كان ابن الخطاب احبهما إلى الله، فأعزه الله بالاسلام، واعز به الاسلام. (اسلام عمر في سيرة ابن هشام. وغيره)

ثم ما الذي استولى على قلب ابي ذر الغفاري، وقد جاء الى مكة يلتمس نبأ ما بلغه عن الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء، فاقام بمكة لايعرف هذا الرجل، ويكره ان يسأل

عنه مخافة إيذاء قريش، حتى وفق ليستضيفه على كرم الله وجهه ليالي لايسأل احد منهما صاحبه شيئا، حتى كانت الثالثة فسأله عليّ عن مقدمه، فاخذ عليه ميثاقا ليرشدنه، وعرفه قصده، فلما مضى به سرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع من قوله اسلم مكانه، ونصحه الرسول رفقا به ان يكتم امره، ويرجع الى قومه فيخبرهم، ويقيم بينهم حتى يظهر الاسلام، فيأبى ابو ذر الا ان ينادي بالاسلام على مسمع القوم، وينال من أذاهم.

ذاك بعض ما حدث به البخاري من صحيحه في باب ابي ذر وفي آخره من قول ابي ذر (والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى اتى المسجد فنادى بأعلى صوته: (أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) ثم قام القوم اليه وضربوه حتى اضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاركم على غفار ـ ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا به، واكب العباس عليه.

بل ما الذي غلب على قلوب هؤلاء المهاجرين من مكة بلد الله الحرام، واحب بلاد الله الى الله؟ والله سبحانه يقول عنهم: (.. **الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)**

ثم على قلوب اخوانهم من الانصار، وقد قبلوا طائعين ان يحملوا عبء الحماية للدعوة من الاسود والاحمر، فيمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم؟ وفيهم يقول الحق سبحانه: **(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)**

اين السيف؟ ومتى؟ ومن حقنا هنا ان نسأل: اين كانت قوة السيف طوال هذه الحقبة المديدة؟ وما موضعه واثره في ظهور امة الاسلام، وقد برزت الى الوجود بكامل خصائصها؟ لقد قام الاسلام في نفوس المسلمين، واستقرت العقيدة على اساس مكين، ونهضت الدولة الاسلامية وليس للسيف موضع، حيث من مبادىء الاسلام انه لا إكراه في الدين.

فاذا حملت الدولة السيف بعد هذا كله، فهي مضطرة ان تدفع عن كيانها عدوان العادين، من كفار قريش والعرب واليهود، ثم من وثنيي الفرس وصليبيي الروم.

لقد انتصر المسلمون في الجزيرة العربية على من عاداهم من العرب الاشداء بقوة الاسلام. واطفأوا نيران الفتنة في ارجائها إبان خلافة ابي بكر بقوة الاسلام ثم اندفعوا يردون عدوان المتربصين من حكام فارس والروم.

اما فارس فقد كانت تثير القبائل العربية الموالية لها على المسلمين، ثم كان رد حاكمها كسرى على كتاب كريم يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الى الاسلام ان مزق الكتاب، ثم كتب الى عامله باذان على اليمين ان يبعث الى رجل مكة من يأتيه به أوبرأسه، فبعث الوالي برسالة كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لمن جاءه قل لمن بعثك ان ربي قتل ربك، فتربص والى اليمين ليرى، فلما تأكد ان كسرى قتل بيد ولده في الليلة التي حددها الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلن اسلامه، وأقره الرسول على ولايته

أما الرومان فقد قتل حامل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امير بصرى يدعوه الى الاسلام بيد احد أمراء قيصر من العرب، وكانت لذلك غزوة مؤتة، ونظر الروم فرأوا استقرار الدعوة الاسلامية في الجزيرة فجيشوا جيشا واشاعوا انهم قادمون للقضاء على الدعوة في مقرها وكانت غزوة تبوك، حيث مضى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها الى مشارف الشام فأمن أطراف الجزيرة وجاءه من أمراء الحدود من دانوا له بالولاء، وعقدوا معه المعاهدات ـ وتفرق جيش الروم، وقد نصر الله نبيه بالرعب يلقيه في قلوب الاعداء من مسيرة شهر

وطوى الاسلام القرون تلو القرون، وظل مظفرا قويا، وان ضعف اهله ودان سلطانهم. (لقد طوى المغول الدول الاسلامية وارتكبوا من الفتك والتدمير ما ارتعدت لهوله فرائص التاريخ، ولكن الاسلام طواهم واتخذهم له اجنادا)

ومضى احفادهم بالاسلام فاتحين حتى اجتازوا آسيا الصغرى الى اوروبا مهد المسيحية.

(وزحفت زحوف المبادىء الاسلامية تغزو مجاهل افريقيا، مجردة من المال والسلاح ومظاهر المغريات، تاركة جحافل المبشرين في هذه الديار بذهبها ومدارسها ومصحاتها وحماية جيوشها حسيرة مبهورة الانفاس، تعض الانامل من الغيظ على نجاح الاسلام العجيب في اجتذاب مائة مليون من الافريقيين بل اقتحمت هذه المبادىء الاسلامية معاقل الفكر الاوروبي والامريكي، فقام للاسلام دعاة اوروبيون درسوه وفهموه واعتنقوا مبادئه، واخذوا

انفسهم بالدعوة اليه

فإن رغب راغب في معرفة سر ذلك وما هو بسر - فليعلم انه نور الله؛ انزله الى عباده وهو اعلم بمن خلق، **(ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.هو الذي أرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)**. (التوبة)

انه حبل الله المتين يستمد قوته من القوى العزيز.

صلاح شامل:

هذا هو الاسلام بفريضة العلم والتوحيد صلاح للعقول،وبتشريع العبادات، وعدالة المعاملات، وضرورة مكارم الاخلاق صلاح للقلوب.

وبسن الحدود والعقوبات صيانة للمجتمع ولقيم الحق والعدل فيه للعالمين،

الاسلام للجمهور: في بساطته ووضوحه ويسره، وتلبية حاجات الروح والبدن في تكامل تام يجمع بين الدنيا والآخرة في عبادة لله زاكية.

والاسلام كذلك للخاصة في دقته واحكامه وروعة مبادئه، فلا يأمر بشيء ينكره العقل السليم، ولا ينهي عن شيء يسيغه الطبع القويم.

الاسلام للاغنياء: يحفظ ثروتهم ويبارك جهودهم كفاء واجبات ميسرة تطهرهم وتزكيهم وتقيهم شح النفوس وحقد الحاسدين وهو للفقراء روح عاطفة، يفرض حقوقهم، ويكفل ضرورياتهم، ويوجب معونتهم الى حد الكفاية.

انه الدين الشامل والكامل منذ نزل قوله تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)**

فهل يقيم المسلمون في نفوسهم قوة الايمان كاملة، فتستقيم بها حياتهم ومجتمعاتهم وقونينهم؟ وبها يردون كيد المعتدين في فلسطين، ولبنان والجولان وحيثما كان **(ولينصرن الله من ينصره)** . **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)**





للأستاذ / عبدالفتاح الزيات

لم يكن للمقررات العلمية حظ من القبول لدى أهل الديانات السابقة على الاسلام ذلك لأن حياتهم كانت هائمة في أودية من الحس والخيال بعيدة كل البعد عن الأحكام العقلية. وكانت أرواحهم تحلّق في آفاق من الروحانية الشخصية. وهي روحانية بنت وقتها فقط. وكان الحس يمد تلك الأمم السابقة على الاسلام بأنواع من التفاعل مع المناخ الذي يعيشون فيه. إذ كانت تؤثر فيهم عوامل الجوع والعطش والحر والبرد. ومرد ذلك أنهم كانوا يعيشون حياة الذاتية المحضة.

وطبقاً لهذا الواقع فإن كل رسول أرسله الله إلى تلك الأمم كانت المعجزة الحسية هي جواز المرور إلى قلوبهم للإيمان به وبرسالته..

فالتصديق عندهم قائم على الحس والمشاهدة..

ومادامت المعجزة وسيلة التصديق بهؤلاء الرسل أكثر الله سبحانه وتعالى منها، وأجراها على أيدي رسله عليهم السلام، وحيث ان تعدد المعجزات مما يعمق الإيمان في قلوب تلك الأمم أمد الله سبحانه وتعالى رسله بها الواحدة تلو الأخرى.

فهذا نبي الله موسى عليه السلام كان له من المعجزات الكثير. منها على سبيل المثال. العصا واليد. وانفراق البحر. والجراد. والقمل والضفادع والدم، ورسول الله عيسى عليه السلام كانت له معجزات كثيرة أيضا، مثل

ابراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله. وطلب المائدة من السماء...

ونحن نرى أن جميع هذه المعجزات مشاهدة محسوسة، وطبقاً لما جبل عليه أهل الديانات السابقة على الاسلام من التصديق بمجرد المشاهدة. لأن سلطان العقل كان غائبا عنهم، ولم يحاولوا أن يبحثوا أو يفكروا مادامت الأمارة على التصديق سهلة وميسورة، فكان أن تجاوزوا الحد فرفعوا أنبياءهم إلى درجة البنوة لله: «**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**» التوبة/ ٣٠.

ولا شك أن جهلهم بمفهوم الخوارق كان من أهم الأسباب في تعميق هذا الانحراف في نفوسهم وخصوصا بعد موت أنبيائهم، فقد وصل الأمر بهم إلى الحد الذي نسوا فيه الخالق جل وعلا: «**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**» التوبة/ ٣١ وحيث ان الحكمة الإلهية من خلق الثقلين هي العبادة: «**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**» الذاريات/ ٥٦ كان لابد من تصحيح مسار التصديق لدى العقلية العربية، لأن الاستمرارية بهذا المفهوم خروج على الناموس الطبيعي للخلق. فأصبح من اللازم أن يظهر دين جديد.

جديد في اسلوبه ومنهاجه وتناوله. وقبوله.

ولأن الاسلام خاتم الأديان، اراد الله سبحانه أن تكون وسيلة التصديق به «العقل» ومن هنا يظهر الفرق في التناول والقبول والحجة والاقناع...

فكما قلنا كانت حياة العرب الفكرية -مثل غيرهم- قبل الاسلام تحوم في آفاق من الخيال، ولم تكن تلك الحياة لتقبل أن تشغل بشيء، «أي شيء». وإنما كان العرب يريدون النتيجة السهلة الميسرة ثم تنتهي القضية.

فلما جاء الدين الاسلامي حمل معه رياح التغيير الكلي لدى العرب، ولأنه الدين الخاتم فلابد أن يكون كاملا مستوفيا جميع عناصر السعادة للانسانية جمعاء. جاء الدين الاسلامي فأحدث في العقلية العربية « صحوة » أيقظتها من سباتها الذي امتد طويلا ، وبدأ يتفاعل مع تلك العقلية ويبعث فيها دفء الحياة السعيدة، فبدأت تلك العقلية تتحرر من ربقة النظرة الضيقة المحدودة الى نظرة أرحب وأوسع، فشبت عن الطوق، وعرفت معنى التفهم والتعقل، وأعلن العقل عن نفسه أنه الحكم الفصل في القبول والرفض، فعرفت لأحكامه قيمتها، ولاستنتاجاته احترامها، وخطت العقلية العربية خطوات على طريق المعرفة، فنظرت في الكون، وتفهمت نواميسه. وتحررت من تأثير شطحات الخيال، وبدأت تعطي للعقل دوره

في القيادة والتوجيه، وبدأ العرب يلجأون إليه في معيار التصديق، ومن ذلك أن العرب لما أرادوا ـ أن يحاجوا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم سألوه أن يأتيهم بالمعجزات، ولكنها معجزات من نوع جديد، معجزات لايكتفي فيها بالمشاهدة بل لابد من حكم العقل عليها... فقد حكى القرآن الكريم عنهم: « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** » الإسراء/ ٩٠ـ٩٣ .

فمن الملاحظ عند النظر في هذه المعجزات أنها معجزات لم يكن للعرب عهد بها قولا أو فكرا او تخيلا، وفي هذا دليل على انتقال العقلية العربية من مرحلة القبول والتسليم الفوري بمجرد وقوع المعجزات. إلى مرحلة الشك والتروي بل والرفض احيانا مخالفة او عنادا، وبلغ بهم الأمر أنهم لو رفعوا إلى السماء لما عدّوا ذلك من قبيل المعجزات. بل أرجعوه إلى السحر، قال تعالى: «**ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سُكرّت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** » الحجر/ ١٤و١٥.

وفي هذا أكبر دليل على تخلص العقلية العربية من الأوهام والخرافات التي كانت تسيطر عليها قديما وأصبح الانسان العربي يعطي لعقله الأولوية في جميع شئون حياته، وأصبح أيضا يتشدد في تصديق المحسوسات الخارقة للعادة، لذلك كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام متمشية تماما مع التطور الفكري لديهم، قال تعالى: «**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**» النحل/ ١٢٥ فصادفت دعوته هوى في قلوب كثير منهم فآمنوا به وبرسالته على وعي وبصيرة.

● كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ترتكز أساسا على «العقل» الذي من وظائفه النظر والاستدلال والاستنباط، وهذا شيء جديد بحق لم يكن معهودا لدى أهل الديانات الأخرى ، فبعد أن كان يقال للنبي أو الرسول : ما معجزتك ؟ تغير الحال بتغير العقول فعدل السؤال إلى. مادليلك؟ وأصبح الدليل العقلي جواز المرور الى التصديق به.

وقد يتبادر إلى الذهن أنه لم يجر على يدي محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما جرى على أيدي الأنبياء السابقين، بل قدروت لنا كتب السيرة

من هذا الباب كثيراً مثل تسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع، وإدرار اللبن من شاة أم معبد، وغيره وغيره. وقد آمن بها كل من آمن برسالته.

فوداعاً لعصر التسليم بمجرد المشاهدة، ومرحبا بعصر الاحتكام الى العقل الذي أصبح له الفضل في تكوين الشخصية المسلمة. هذا التكوين الذي كتب له الاستمرارية، فبالعقل اهتدوا الى العلم والمعرفة، وأصبح الأخذ بالشيء ـ سوى البدهيات ـ على أنه قضية مسلمة لاتقبل النقاش مرفوضا رفضا باتا لدى العقلية العربية الاسلامية.

وسار المسلمون في هذا الطريق الذي رسمه لهم الاسلام، وضربوا بسهم وافر في جميع أفرع الحياة، بل كان لهم السبق في بعض المجالات التي لم يطرقها أحد من أصحاب الملل الأخرى، فلا غرو أن أصبحوا بعد مضي عدد من السنين من أرقى أمم الأرض تقدما وحضارة، إذ كان منهم العلماء والخبراء المبرزون في شتى مجالات الحياة، ولعل السبب في ذلك أن الاسلام أدخل مفاهيم جديدة في قاموس الحياة لم تكن مألوفة من قبل، هذه المفاهيم جعلت غيره من أهل الملل الأخرى تنظر إليه نظرة تقدير واكبار. منها على سبيل المثال:

أن المسلمين كانوا إذا ارادوا اخضاع أمة خيروها بين واحد من ثلاثة: إما الاسلام وإما الجزية وإما الحرب، وهذا بالقطع شيء جديد لم يكن مألوفا لدى العقلية العسكرية لأمة من الأمم السابقة، ثم إن بعض الشعوب الأخرى ظهر لها الفرق واضحا بين تعاليم دينها وتعاليم الاسلام. لذلك سارعت بالانضواء تحت لوائه لأنها رأت فيه الحصن الحصين والمكان الأمين الذي يحمي النفس والأهل والمال والولد دخل الناس فيه أفواجا بعد أن تبين لهم الرشد من الغي وأنه لايصح إلا الصحيح، دخل الناس فيه طواعية واختيارا بعد أن رأوه يحترم الانسان ويكرمه ويضعه حيث أراد الله له أن يكون: «**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**» الإسراء/ ٧٠ دخل الناس فيه بعد أن اقتنعوا بتعاليمه السامية ومبادئه الحميدة وخصاله الشريفة وآرائه الرائدة، دخل الناس في الاسلام حتى بلغ عدد من دخل فيه من الشعوب الأخرى في أقل من قرن نحو مائة مليون مسلم.

مما يعتبر حدثا فريدا لم تشهد مثله الديانات الأخرى..

ولايزال الاسلام سائرا في طريقه يعطي ويعلم ويبذل من غير مقابل بل لله وفي سبيل الله ...

مع الحديث النبوي :



للدكتور / محمود محمد عمارة

تمهيد : -

من بين ماتناقلته الألسنة من أساطير الأولين . ما يحكى قصة الحياة قبل البعثة النبوية ومنها ما قرأته :

(ظهرت «فينوس» على بحيرة من عطر الياسمين. أجمل ما يكون الجمال جمالا وجسمها يتوهج كوقدة الشمس وفتنتها الآخذة بالمجامع تثير عاصفة من الإثارة والهوس وجاءها رجل يسعى فقالت له: من أنت ؟

قال: راع يرعى النفوس الشاردة. ويدلها على ينابيع الماء في الصخر. وعلى المرج الخصيب في الوادي الجديب .

فقالت : -

مسكين ... خذ مكانك بين الذين يمزجون العطر تحت قدمي. فتملك مثل ما يملكون المال ... والجاه... والشهرة... والمتاع . فقال الرجل: كلا «يافينوس» إنني إن فعلت ذلك .. أفقد الإنسان الذي به وجودي) .

وهكذا كانت الحياة قبيل البعثة .. حين أخذت الأرض زخرفها

قال مالك بن الحويرث: (أتينا إلى النبى صلى الله عليه وسلم. ونحن شببة . متقاربون. فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة .

وكان رسول صلى الله عليه وسلم رحيما . رفيقا. فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا. أو قد اشتقنا . سألنا عمن تركنا بعدنا. فأخبرناه قال :

ارجعوا إلى أهليكم .

فأقيموا فيهم وعلموهم. ومروهم :

- وذكر أشياء أحفظها. أو لا أحفظها. وصلوا كما رأيتمونى أصلى. فإذا حضرت الصلاة. فليؤذن لكم أحدكم. وليؤمكم أكبركم) رواه البخاري .

وازينت.. وظن المنحرفون أنهم قادرون عليها. ومكروا مكرا كبارا. فكانوا لصوصاً مهرة . يحاولون سرقة ما تبقى من إنسانية الإنسان .

وهكذا السارق الماهر الماكر :

يقطع الأسلاك.. فيعم الظلام.. وعندئذ يمارس جريمته فإذا انحسر الظلام خنس .. فلا مكان له تحت الشمس الطالعة .

ولقد عاش العالم قبل البعثة تحت وطأة ليل كموج البحر أرخى سدوله بألوان الهموم .. وانقضّت عصابة السوء على الإنسان في محاولة لتدميره .

وإذا كانوا يقولون إن أشد ساعات الليل ظلاما هي التي تسبق طلوع الفجر فقد شددت الفتنه قبضتها لاستقطاب الإنسان عن طريق غرائز الجنس .. والتملك وحب الحياة .

ولكن .. إذا كانت الضربة القوية تحطم الزجاج .. فإن هذه الضربة نفسها هى التي تثير في الانسان جنود المقاومة .. التي هبت تدافع عن كرامة الإنسان .. بهذا الإباء الرافض للفتنة المتحكمة . وفي هذه اللحظة .. وافته الأقدار العليا .. بالرائد الذي لا يكذب أهله .. والذي كان على موعد مع الإنسان ..

المربي العظيم :

انتهت بحوث البُصَراء بطبائع النفوس إلى تليخص ركائز العظمة في أمور أربعة :

(١) الأخلاق الرفيعة التي يتميز بها العظيم .

(٢) سمو المبادىء التي يدعو اليها.

(٣) قوة تأثيره. وقدرته على تكميل غيره بما كمل به نفسه .

(٤) نجاحه في صياغة جيل يتحمل المسئولية من بعده .

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم في الذروة من هذه الركائز على ما يشير إليه الحديث الشريف وكيف ؟ ذلك ما نحاول تجليته فيما يلي :

التحول الكبير:

هؤلاء مجموعة من الشباب يستيقظون على دقات الحق المبين بعد ما أحسوا بالفراغ في بيئة صار الدين فيها تقليدا . والأدب غزلا . والحياة كأسا يغيب فيها وجود الانسان .

وعلى أمواج الحنين .. وهو زاد المشتاق، ونزهة العشاق.. مضوا يحملون القلوب إلى ديار المحبوب .. الى الرائد الذي لا يكذب أهله .

وفي مجتمع من نوع جديد : (..على أي شيء كان يجتمع الناس في مجتمع الجاهلية ؟

وفيم يجتمع اليوم مع إخوته في الله ورسوله ؟ ألا إنها الأخوة هنا ... حيث لم تكن أخوة هناك لقد كان يجتمع مع لدات له من قبل في المجتمع الجاهلي .. ففيم كانوا يجتمعون ؟ يسمرون مثلا؟

في لحظات الصفاء ...

نعم .. ولكن كل منهم مشغول بذاته. مشغول بإبرازها خشية أن يبرز أحد ذاته أكثر منه.. فيتميز في المجلس بشيء.

أو ينسون أنفسهم في مجلس لهو وشراب وفارغ الحديث . أو يلتقون . أو يتصارعون على مصالح التجارة أو يلتقون في حلف قبيلة ضد غيره ... فيدبرون معا خطة العدوان .

أو يرددون الشعر. ويتفاخرون بالأنساب .. تلك دنيا لقائهم .. وتلك مشاعر اللقاء .. أما اليوم .. فشيء آخر لم يذق طعمه من قبلُ أبدا .

إنه الحب .. إنه الترابط أو الالتصاق).

لقد تراجعت مشاعر الكراهية .. والمشاعر المحايدة .. والسلبية البغيضة ... تراجعت الأثرة ... وكان الإيثار ...انهم لم يكتفوا بمطالعة الأفكار مسطورة في كتاب .. لكنهم حرصوا على المقابلة الشخصية ... فعن طريقها تنشأ الملكات وتقوى .. الى جانب ما تثمره من خلال لابد منها في تكوين المتعلم .. الذي يجد نفسه في

مجموعة من رفقة الخير... تزوده بهذه الخلال التي لا يتمثلها لو كان معزولا .

فاذا كانت الجماعة محدودة العدد .. آتت التربية أكلها :

١ ـ لأنها تتيح الحد الأقصى من التفاعل بين الأعضاء .

٢ ـ تساعد على نمو ملكة التفكير .

٣ ـ تنمى مشاعر الانتماء .

٤ ـ يربو الإحساس بمعنى المساواة .

٥ ـ تساعد على انبثاق قيادات جديدة ... حيث تتراءى مواهبها في نقطة الضوء.

(ولا يمكن أن يتربى الإنسان تربية حقيقية متكاملة إلا في جماعة.

وعلى أهمية التربية الفردية الى أقصى مدى الأهمية ، فانها وحدها. لا تنشىء كيانا سويا للإنسان .

لأن هناك جوانب من النفس الإنسانية لا تنضج. ولا تعمل . إلا في داخل جماعة فيها أفراد آخرون . فاذا لم يلتق الانسان بالجماعة أو لم يتعود التعامل معها فستظل هذه الجوانب كامنة معطلة غير مدربة على العمل . فتنكمش وتتضاءل . كما ينكمش ويتضاءل كل عضو لا يستخدم في جسم الانسان).

الرائد.. الانسان

إنهم شباب .. فهم متحمسون . متقاربون في السن .. فهم متنافسون ..ومن ثم.. فلا يصلح لقيادتهم قائد عبقري .. ولا بطل عسكري .. لقد أشار العقاد الى أن العبقرية ندرة لا يطمع الناس أن يكونوها .. والبطولة لون من التفرد لايحلم كل الناس ..بها ومن هنا كانت العبقرية والبطولة تميزا .. لا تمكن من الاندماج مع الجماهير ..ولو وكل الى عبقري قيادة أمة لأرهقها وما حقق بها ما يريد..ولكن الناس .. والشباب بخاصة في حاجة إلى القائد... الإنسان الذي تهرع إليه آمال البشر .. فيحتويها ثم يغذيها بما يملك من رصيد الرفق والرحمة . يقول ابن خلدون :

(واعلم أنه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس. وأكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل. وأقل ما يكون في اليقظ. لأنه يكلف الرعية فوق طاقتهم . واطلاعه على عواقب الأمور في مباديها بألمعيته فيهلكون لذلك.

قال صلى الله عليه وسلم: «سيروا على سير أضعفكم ».

ومن هذا الباب . اشترط الشارع في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء . ومأخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لما عزله عمر عن العراق. وقال له :

لِمَ عزلتني يا أمير المؤمنين : ألعجز أم لخيانة ؟

فقال عمر :

لم أعزلك لواحدة منهما . ولكني

كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس .

فأُخذ من هذا أن الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد بن أبي سفيان . وعمرو بن العاص. لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الملكة . وحمل الوجود على ماليس في طبعه وتقرر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لأنه إفراط في الفكر . كما أن البلادة إفراط في الجمود . والطرفان مذمومان من كل صفة إنسانية . والمحمود هو التوسط)

مفتاح الشخصية:

وإذا كان الافراط في الذكاء واليقظة عيبا في حكام الدنيا .. فقد كان صاحب الخُلُقِ العظيم صلى الله عليه وسلم طرازا فريدا .. تجمع في قلبه ما تفرق في قلوب الناس من عواطف الخير .. محروسا بالوحي الأعلى .. فأنقذ البشرية من الضلال.. بأخلاقه تلك العظيمة ... ومنها ذلك الرفق الذي شهد به هؤلاء الشباب فكان البلسم الشافي .

أبعاد الرفق النبوي :

الرفق ضد العنف .

وهو خلق ايجابى ومن معانيه: الوسط (رفقت السير) والانتفاع : (ارتفقت بالشيء : انتفعت به) . والاحكام : (رفقت العمل : أحكمته) والرفيق : الحاذق في عمله. وهو ضد الأخرق .. العاجز

والرحمة : خليط من مشاعر: الحنان .. والإشفاق ... والرقة.. يتجاوز بها الانسان عن زلات الآخرين .. ومن مزيج الرفق والرحمة يكون الإنسان إنسانا عظيما ... واذن فقد كان هذا الشباب المتحمس على موعد مع صاحب الخلق .. الانسان العظيم .. بعيدا عن العبقرية .. والبطولة .. منفردتين ... معزولتين عن الوحيِ الأعلى .

إن العش الذي يقوم على غصن هش ليس له قرار .. ومن ثم.. لم تكن رحمته ورفقه لونا من المجاملة ينهى به المقابلة ... بيد أنها الفطرة السوية تفتح ذراعيها للحماس المتوقد ... فتفسح له الطريق على جناحين منهما .. حتى لا يكون الحماس شلالا هادرا.. وليكون في النهاية عملا مثمرا .

سمو مبادئه :

ولقد كان في رحمته ورفقه سماء ما طاولتها سماء .. فلم يكن خلقه ذلك عنصريا ..ملونا .. وانما هو الخلق الطليق يستظل به العاكف والباد،ولقد كتب الكاتبون محللين شخصيته صلى الله عليه وسلم وعظمة ما يدعو إليه من مبادىء.. وكان من أبرزهم «مايكل هارت» الذي جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على رأس مائة من عظماء

العالم.. ولكنه (لم يتخذ قيمة الأعمال التي أتوا بها. وكما لا تهم الشخصية مقياسا لعظمتهم وإنما نظر إلى درجة التأثير الذي أحدثه الشخص في العالم.

ومدى دخله هو في التأثير وسعته. سواء أكان ما أتى به خيرا للبشرية أم شرا في الحقيقة والواقع .

فمحمد صلى الله عليه وسلم انطبق عليه مقياس هذه الناحية من العظمة . وكان له فيها القسط الأكبر . فكان فيها أعظم العظماء لكننا أردنا أن نعرض العظمة في مقوماتها الذاتية لا في درجة تأثير العظيم فقط. والتي يتكون منها المقياس الصحيح للعظمة ... والتي تكون نموذجا يحتذى للكمال البشري وهذا ما وجدنا أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قد استجمع فيه دعائم العظمة كلها مما تفرق بين زعماء البشر . فكانت عظمته جماع العظمات من الوجهة الواقعية التاريخية وإن لم ينظر إلى صفة النبوة التي ألقاها الله عليه وأيده بها)

ولقد أشار الحديث الشريف الى خلاصة هذه المبادىء التي يدعو إليها :

١ ـ بداية الإصلاح من الأسرة ..
٢ ـ أهمية القدوة المتمثلة فيهم تحت سقف البيت .
٣ ـ التعليم .
٤ ـ الدعوة إلى الخير .
٥ ـ إقام الصلاة.
٦ ـ تقديره لدوافع الإنسان.. حين أحس بالشوق الى الأهل فأمر الشباب بالعودة . صلة للرحم وحماية للأسرة من مخاطر الغربة الطويلة .

لقد كان الشباب.. في الجاهلية .. وفي فارس والروم واقعين بين شقي الرحى: فلقد خدعوا الشباب مرة بالرقة والدلال. ومرة بالقيود والأغلال وصار الأمر على ما قيل :

(ان غمده فارغ مثل كيسه. فهو أعزل فقير.)

فلما جاء صلى الله عليه وسلم منحه الخلق العظيم الذي فتح به العالم .. ووضع في صدره الكتاب .. الذي سكن منه في قلب عامر. فغير وجه العالم كله .

قوة التأثير :

يقول «جوستاف لوبون»

«ان ملكة الفنون لا تستحكم في أمة من الأمم الا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد. وجيل التحضر وجيل الاستقلال وقد شذ العرب فوصلوا إلى الاستقلال في جيل واحد» .

كانت قدرته صلى الله عليه وسلم على التأثير مردودة الى أنه كان القدوة الحسنة.

وبهذه القدوة ظل منتصبا في وعي من رآه .. فلا يفلت من جاذبيته ... فلم يكن سلطانا يتاجر بآمال أمته..

ولم يكن مترفا يتفنن في أطايب الطعام بينما تموت الأمة جوعا .

وكان في تناوله للأمور بسيطا ... بعيدا عن التعقيد ... يتجاوز الشكليات الى الأصول. وبينما زعماء فارس والروم :

تجارتهم قمار .. يربح فيها واحد.. ويخسر الملايين .. ويمارسون أقسى ألوان الظلم.. بينما يتحدثون عن المساواة .

وتضيء في قصورهم الثريات ويموت الود في القلوب في هجمة شرسة على ثروة الحب في الأفئدة .

القدوة الفاعلة :

استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يحيي ملكات هؤلاء الشباب وأن ينشط الخيال الخصيب فيهم .. فتفاعلوا مع الحياة.. وتقدموا ليتملكوا زمام المستقبل .

وهذا سر نجاحه صلى الله عليه وسلم في إخراج الناس من الظلمات إلى النور ..دون زعماء البشر جميعا .

(فالعظيم من رجال التاريخ انما يشتهر غالبا في ميدان واحد أو اثنين من ميادين العظمة : فقد يشتهر أحد الفاتحين بفتحه، أو أحد الشجعان بشجاعته، أو أحد المخترعين بفرط ذكائه الاختراعي أو أحد العلماء الحفاظ بوفور علمه وحفظه، أو آحد الأسخياء الأجواد بفرط أريحيته وجوده، أو أحد الخطباء ببراعة بديهته وبلاغته، إلى غير ذلك ...على أن كثيرا من هؤلاء العظماء في إحدى النواحي يكونون مثلا سيئا منحطا في أخلاقهم أو حياتهم الخاصة، أو في بقية النواحي التي ليس لهم فيها تبريز وشهرة، فيكون الخطيب البليغ جبانا شحيحا، ويكون الفاتح الشجاع ظلاما منتهكا للحرمات والأموال والأعراض ولكنه لمعت فيه مزية واحدة أورثته شهرة غطت معايبه الأخرى وصرفت الأنظار عنها . وفقا للقانون النفسي في توجيه أنظار الرائين وانتباههم .

أما أن يكون المرء عظيما في الشجاعة عظيما في الحرب، عظيما في السلم، عظيما في العدل، عظيما في الصدق، عظيما في العقل وفي الحزم والحكمة .. والتدبير، عظيما في الأخلاق الشخصية ظاهرا وباطنا في السر والعلن.. عظيما في الجود وفي الزهد وفي التجرد والاخلاص والإيثار وحب الخير للغير، عظيما في معرفة داء الحياة ودوائها، عظيما في البلاغة وجوامع الكلم، عظيما في التشريع والقضاء، إلى غير ذلك من ميادين العظمة ، بحيث يكون هو الشاب المثالي،الأمين المثالي، التاجر المثالي، الصديق المثالي، الزوج المثالي، الأب المثالي، ثم القائد المثالي، المربي المثالي.. فإن مثل هذه العظمة الشاملة هي فوق مراتب العظماء، إنها عظمة محمد صلى الله عليه وسلم و«الله أعلم حيث يجعل رسالته» .

منهج التربية :

من اسباب فشل التربية اليوم :

ـ فساد التصور. ـ سوء التطبيق.
ـ غياب القدوة.

من أجل ذلك وضع صلى الله عليه وسلم للشباب خطة العمل التي يملكون بها المستقبل.. والتي يتلافون بها هذه السلبيات جميعا .

فلما ظن ... مجرد الظن.. أنهم قد اشتاقوا إلى أهليهم .. أمرهم بالعودة إليهم .. تقديرا منه صلى الله عليه وسلم لدوافع الإنسان.. وحتى تؤتي خطة التربية والتعليم ثمارها... وقبل أن تشوش حاجات النفس على العقل فلا يفهم .. وعلى القلب فلا ينشط .

وقد وضع لهم خطة العمل :ـ

أ ـ انها تبدأ من البيت أولا .. وخيركم خيركم لاهله .. (ارجعوا الى أهليكم).

ـ على ان يكونوا لهم القدوة القائمة الدائمة (..فأقيموا فيهم ..)

ـ ثم لتبدأ مهمة التعليم والتثقيف.. (..وعلموهم..).

ـ ثم التوجيه.. بأمرهم بالخير (ومروهم) ..(..وصلوا كما رأيتموني أصلي).. لا كما سمعتموني ...
لتكون للقدوة تأثيرها .

أهمية الترتيب :

وهكذا يتسلسل المنهج .. وبالترتيب..إن كثيرا من الشباب اليوم يجيدون فن الأمر والنهي .. متجاوزين مرحلة الإعداد والإرشاد... والتوعية.. ولا بد من الاستيعاب أولا ... ليكون للأمر من بعده قيمة أما مجرد الأمر .. قبل أن تتضح الحقائق في الأذهان فهو لون من التحكم لا يصل بالمتعلم إلى ما نريده له .

سلم الأولويات :

هناك أمور فرعية .. لا تحتمل الخلاف... والأمر فيها مبني على التجاوز .. والتساهل.. ومنها الأذان .. ومن أجل ذلك قال لهم :ـ (..**فليؤذن أحدكم**...) أي واحد..

ولما كانت الإمامة قيادة وريادة .. فقد كان للخبرة والسن اعتبارهما.. ومن أجل ذلك قال لهم : **(وليؤمكم أكبركم)**.

وإذن .. فلا بد من التدقيق فيمن هو أهل لهذا التدقيق ...

وبذلك يحميهم من الاختلاف ... الذي ينسحب على الدعوة فيزهد الناس فيها .. وما أحوجنا اليوم إلى الوفاق بعد طول الشقاق .. فلننح الغرور جانبا .. ولنتخذ من الحق صاحبا .. ولنفتح أبصارنا على حقيقة مايراد بنا :

إن بعض الدول الكبرى تسمح لبعض الأنشطة الإسلامية أن تمارس على أرضها لكنها في نفس الوقت تفتح الطريق لنماذج رديئة تتحدث باسم الإسلام حتى تحبط القول البراق.. بالقدوة الرديئة المتحركة فلنأخذ ذلك في اعتبارنا..



فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

● قال شاعرنا العربي قديما :

ما حك جلدك مثل ظفرك   فتول أنت جميع أمرك.

وذاك هو منطق العقلاء.. والأقوياء.. أن يبذل الانسان قصارى جهده وغاية طاقتـه حتى يحقق لنفسه المكـانة اللائقـة.. والعيش الكريم.. ويكسب احترام وتقدير الغير.

● والحياة تقول لنا في كل لحظة: ان استغنيت عن الناس أحبوك.. وإن افتقرت اليهم أهانوك.. وإن استقللت برأيك واعتززت بنفسك هابوك.. وإن سلمت أمرك إلى غيرك كنت تابعا ذليلا.. وقد تفيق يوما على وضعك هذا فلا تلومن إلا نفسك.

● أليس هذا المنطق صائبا ـ أخي القارىء ـ ؟ .. وإذا كان.. فما بالنا نجد أفرادا، وقيادات ينحرفون عنه!!

● انسان يسلّم مدخرات عمره لغيره يتاجر فيها ويعمل، ويكسب منها الكثير، والله أعلم إذا كان المكسب من حلال أو حرام.. ويكتفي صاحب المال بنسبة ضئيلة من الربح يأخذها، فإذا خسر ماله قال: لو استخدمته بنفسي لما حدث ما حدث، ولكنه رضى بحياة الدعة والكسل والخمول، وصار «عاطلا».. وماله هو الذي يعمل بأيدي غيره ثم ضاع.. فلا يلومن إلا نفسه.

● وبلد مستقل يعيش على المعونات.. لا اقتصاد له.. ولا محاولة لتنمية مصادره.. إلا أن ينهب ما في جيوب مواطنيه، وأن يضيف الى اعبائهم اليومية أعباء أخرى جديدة.. كيف لبلد هذه حاله.. أن تكون له ارادة مستقلة، وان يتمتـع بالحـرية، وأن يستـطيع اتخـاذ قـرار؟.. اكتفى المسئولون فيه بالحفاظ على كرسي الحكم وإن كان بلا أركان.. فإذا هوى فلا يلومن إلا أنفسهم.

● وإنه لعجيب وغريب أن نأسى على أن العدو قد قطع حواره معنا.. وهل نتوقع من حوار العدو خيرا؟.. إنه لا يريد إلا إذلالنا.. واغتصاب

أرضنا، وقتل نسائنا وأطفالنا.. ومتى أعاد المغتصبون حقا عن طريق التفاوض؟!.. إن الحقوق السليبة لا تستعاد الا بنفس الطريقة التي اغتصبت بها.. إن المجرمين لا يردعهم إلا الحديد والنار.. ومن هنا كانت جهنم مأوى الطاغين والظالمين..

فإذا غفلنا عن ذلك ووضعنا مصائرنا في يد غيرنا، فلا نلومن إلا أنفسنا.

● إذا كنا نستورد الكساء الذي نستر به عوراتنا، والسيارة التي نركبها، والثلاجة التي نحفظ فيها أطعمتنا، بل نستورد اللقمة التي ندفع بها جوعنا، إذا كنا نعيش عالة على غيرنا، فكيف ننتظر من دول العالم أن تعمل لنا حسابا؟! ماذا ينقصنا حتى نحقق لأنفسنا استقلالا اقتصاديا فتتحرر ارادتنا؟

ولكن مادام واقعنا كما نرى ونحس فلا ننتظر إلا ما هو أسوأ.. ولا نلومن إلا أنفسنا..

● إن أماجد الأمة الاسلامية وعظماء البشرية صنعوا لنا تاريخا بقيادة محمد - صلى الله عليه وسلم - بل غيروا مسار التاريخ البشري فكانت لهم دولة.. وعبدوا الله في شتى دروب الحياة.. يثاب الرجل على زرع يزرعه فيأكل منه إنسان أو طير، ويثاب على إماطة الأذى عن الطريق.. ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه.. وصنعت الهجرة من المسلمين إخوة.. فهل عرفت الانسانية في تاريخها أخوة كما عرفها الاسلام!!

● ثم أتى علينا زمان.. حصرنا الدين في علاقة الانسان بربه.. ومنعنا أن يظهر أثر ذلك في سلوكه، وحاربناه في شتى دروب الحياة.. وفي غياب الشريعة الاسلامية.. وعدم تطبيق أحكامها.. نزل بنا مانزل.. فما ظلمنا الله، ولكنا ظلمنا أنفسنا.

● ولقد حكى القرآن الكريم.. كيف ان الانسان يحاول إلقاء التبعة على غيره، ويقول ان الشيطان هو الذي حمله على المعصية، وكأنه لا إرادة له.. فماذا يقول الشيطان؟ اقرأ معي قوله سبحانه: «وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما اشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم».

المحرر
فهمي الامام



تاريخ الإسلام تاريخ سخيٌّ بالعطاء، ترى في حوادثه وأيامه زخراً حيا، ودروسا ملهمات، وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة، والأطوار الحضارية، لأنه دين الفطرة، والفطرة باقية ما بقى الانسان، لأن الفطرة ليست جزءا من كيانه، وإنما هي كيانه، ولهذا صارت قيم الاسلام، ونماذجه السلوكية، كالطعام والشراب والتنفس بالهواء، وكما ان اختلاف الأزمنة، والأطوار الحضارية، لا يغني عن حاجة الإنسان إلى هذه الأشياء، كذلك لا يغني عن حاجة الإنسان إلى القيم الإسلامية، والفضائل الإسلامية، والممارسات السلوكية الفذة من تاريخ الإسلام، لأن الذي خلق الإنسان هو الذي أنزل له هذا الدين وأتم به النعمة، والهجرة من العبادات الرفيعة القدر، وقد ذكر القرآن الكريم المهاجرين، وأنهم يرجون رحمة الله، وهذا أنبل وصف يوصف به المؤمن، وذكر أنه سبحانه يكفر عنهم سيئاتهم، وهذا أعظم وعد يعد الله به صالح عباده، والمهاجرون في القرآن طبقة من أمة الإسلام، لهم مرتبة أرفع، لا يقاربها إلا مرتبة الذين يحبون من هاجر إليهم، وكأن مكانة الأنصار رضوان الله عليهم وهم الذين

تبوءوا الدار والايمان، إنما يرجع كثيرٌ منها إلى أنهم آووا اخوانهم، واحبُّوهم، فرفع منزلتهم بسبب من الهجرة، وبنفح من نفحاتها.

وقد قرن القرآن الكريم في كثير من الآيات بين ثلاثة، ١ ـ الايمان ٢ ـ والهجرة ٣ ـ والجهاد.. قال تعالى في سورة البقرة/ آية ٢١٨ «**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**» وانظر كلمات الآية تجد جاهدوا معطوفا على هاجروا، وأنهما معا صلة الموصول وكأنهم شخصٌ واحد، أو جماعةٌ واحدة عبر عنها بالذين، كما ان الايمان صلة الذين قبلها، وهذا التفريق يعني ان الهجرة لها مزيد صلة بالجهاد، وان توفر الايمان أمر مستقل وحده، لمزيد شرفه، لأنه هو الأصل، وقد جاءت الآية في سياق مواجهة القوى المعادية للاسلام والمسلمين، والتي لها شأن واحد في التاريخ كله. وصفه الحق بقوله: «**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**» آية ٢١٧ من سورة البقرة. وهي الآية السابقة لذكر الهجرة مقترنة بالايمان والجهاد.

وهذا الهدف للقوى المعادية للاسلام لايزال قائما، وهو يدور على ارضنا بقوة وشراسة وجبروت، والأذن التي لاتسمع قعقعته من حولها أذن غافلة، وقد جاء في سورة الانفال: «**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**» آية/٧٢. وقد ذكرت أيضا في سياق المواجهة مع الطوائف المعادية لدين الله، ..الذين ينقضون عهدهم في كل مرة.. والذين يخاف المسلمون منهم خيانة،.. والذين كفروا... وقد تكرر الربط بين الايمان، والهجرة، والجهاد، في الآية التي جاءت عقب هذه الآية بعد الفصل بآية واحدة، وذلك قوله تعالى آية/ ٧٤ «**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا**» وقد أضافت إضافة جليلة، هي وصفهم بأنهم المؤمنون حقا، وتركيب اللغة يفيد قصر الايمان الحق عليهم، وهذا يعني أنهم طبقة متفردة كما قلت، جاءت الهجرة واسطة بين الايمان والجهاد في كل آية قرنت هذه الثلاثة المضيئة، ولهذا وجوه منها. أن الهجرة كانت مقدمة للأمر بالجهاد، لأن المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله، هم الذين أذن لهم بالقتال لأنهم ظلموا.

وإذا كانت الهجرة بمعنى الخروج من دار الكفر الى دار الاسلام قد انتهت بالفتح ـ ولا هجرة بعد الفتح ـ

فان الهجرة بمعناها الآخر الذي سوف ننقل شرحه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، باقية، والجهاد باق، والأمر الذي دعا إلى الهجرة والجهاد في الزمن الأول، وهو كيد أعداء الاسلام باق، أيضا بل إنه انتقل الآن إلى حرب الإسلام، داخل نفوس المسلمين، وداخل ضمائرهم، وليس داخل ديار الإسلام فحسب، ومن هنا كانت أهمية ذكر الهجرة، وذكر دروسها، ولعل شيئا من هذا وقع في نفس عمر رضي الله عنه، حين اتخذ التاريخ الهجري لتكون الهجرة والجهاد الذي هو قرينها، بين يدي المسلمين في كل يوم، وفي كل حساب، وقد كان عمر جند يا من جنود الله، وصاحب بصيرة نافذة، لم يكن ليغيب عنه أمر مهم في حياة هذه الأمة وهو تعرضها للكيد الدائم من أعدائها وحاجتها الدائمة إلى الجهاد.

قلت إن اقتران الهجرة بالجهاد في القرآن الكريم له وجوه ذكرت واحدا منها،والثاني أن الهجرة كانت بمثابة اعداد النفوس للجهاد، لأن الايمان الذي لا ينهض صاحبه بتكاليفه ايمان شاحب ضعيف، والايمان الذي يعتد به، هو الإيمان القوي الذي يغير النفوس ويغير الأمم ويغير الحياة، ولايكون كذلك إلا إذا غلب في النفس على كل شيء، حتى الآباء والأبناء والمال والصاحبة، وقد ذكر القرآن الكريم هذا في آية كريمة من سورة التوبة بعدما ذكر الذين هاجروا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اتجه إلى الأمة في خطاب حاسم يطلب الموازنة بين ارتباطات النفس بدين الله، وارتباطاتها بأنفس ما ترتبط به من أهل، ومال، وولد، ومعرفة الأقوى، فان قعدت النفس عن داعي الله، بما يثقلها من حبِّ المال والولد، فالويل والهلاك، وان نهضت الى الله لا يثقلها شيء عن أمرهلحقت بالذين هاجروا وجهادوا، لأن هؤلاء مثلٌ حيٌّ تتجسد فيه قوة الارتباط بالله ورسوله، لأنهم هاجروا أوَّلًا، فخلعوا أنفسهم من مالهم وعشيرتهم، وأوطانهم، ثم جاهدوا فخلعوا أنفسهم من أنفسهم، وباعوها لله بأن لهم الجنة.

اسمع الآية العظيمة «**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين**» آية ٢٤/ التوبة.

وقد جاء ذكر الذين هاجروا وجاهدوا في الآية ٢٠ من السورة

نفسها. و تأمل هذه الكوكبة.. الآباء... الأبناء... الاخوان.. الأزواج.. العشيرة... الأموال... التجارة... المساكن... وهي المحاور التي تدور حولها نفوسنا، إذا لم نكن قادرين على أن نطرحها كلها وان نقبل على الله وعلى الجهاد في سبيله، وأن يكون الله ورسوله فوق كل ذلك فلا قيمة لايماننا، لأن الله سبحانه قال فتربصوا، وهذا وعيد كما قال الشيوخ، وعن الحسن رضوان الله عليه عقوبة عاجلة، أو آجلة، وقالوا هي آية شديدة لاترى أشد منها، وتأمل ذكر القوم الفاسقين الذين لايهديهم الله، ولماذا ذكروا هنا؟ وليس لهذا معنى إلا معنى واحد هو أن أمر الدين حين يأتي بعد هذه الكوكبة التي هي محاور تدور عليها رحى حياتنا،

فمعنى هذا هو رفض هذا الدين عند الله، وان صاحبه من القوم الفاسقين، الذين لايهديهم الله، ولما تأملت هذه الآية كأني لم أقرأها قبل ذلك، ولما راجعت كتب التفسير، رأيت العلماء يقولون الذي أقوله، وأشد منه، وراجع الكشاف حـ٢ ص٢٠٢ وهذا الجيل الذي أعدته الهجرة للجهاد هو الذي طولب بهذا المطلب الشديد، وهو أن يكون الواحد منهم متفوقا على عشرة من خصوم الاسلام، واسمع الآية التي شرعت هذا قال تعالى في سورة الأنفال **«يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون»** آية ٦٥، وتأمل الكلام الشريف تجد فيه لمحة ربانية عالية في تكريم هذا الجيل، فالخطاب اولا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر من الله سبحانه بأن يحرض المؤمنين على القتال، وكان هذا يقتضي أن يقول إن يكن منهم عشرون صابرون، ولكنه نقل الكلام من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب لينالوا شرف خطاب الحق لهم، واقباله عليهم سبحانه، وكانوا هم مع نبيهم الكريم في حضرة واحدة هي حضرة الله، وفي خطاب واحد هو خطاب الله لهم، ثم ان ذلك كان في أول مصادمة بين الاسلام والكفر، وكان هذا الجيل أهلا لهذه المواجهة الأولى، وأهلا لهذا التكليف الشاق، ـ الواحد بعشرة ـ وإذا كان كل مؤمن مطالبا بأن يكون ايمانه وارتباطه بالله ورسوله ارجح عنده من كل ما تدور عليه حياة الانسان من مال وولد وزوج وعشيرة، فإن هؤلاء كان ايمانهم يرجح كل ذلك بمسافات بعيدة، فقد كان من السهل على الواحد منهم أن ينزع نفسه من ماله كله،

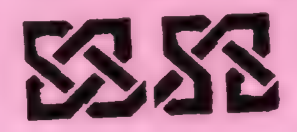
ويجعله لله في لحظة واحدة، كما كان من المعتاد بينهم أن يواجه أحدهم أباه أو أخاه بالسيف إذا كان لايزال في جبهة الكافرين.

وهذا درس مهم من جهة أخرى وهي أنه يقدم لنا صورة حية للارتقاء بمستوى الانسان حتى نصل به إلى درجة النمط المتفوق الرفيع، ـ الواحد بعشرة ـ وكان التفوق على بني جنسه الذين هو منهم، وإنما داخله عامل نفسي هو الايمان بكل رحابته، فارتقى. وهذا وإن كان في الحرب فإن الحرب ليست قوة عضلية، وإنما هي فن، وتخطيط، وفهم، وذكاء، ولم يقل أحد إن المسلمين ازدادوا بالاسلام قوة عضلية عن بني جنسهم وإنما ازدادوا علما، وذكاء، ونورا، يعني ارتفعوا في المستوى الحضاري، والفكري، وراجع الآية الكريمة تجد اشارة إلى سر هذا التفوق في قوله تعالى يصف الألف الكافر الذي تغلبه المائة المؤمنة، قال سبحانه: «**ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**» يعني ليسوا أصحاب علم رفيع، لأن الفقه هو العلم البصير، وكأن هذا الفقه هو الذي غلب به العشرون الصابرون، وهذا واضح في ربط تفوقهم بالفقه، والبصيرة، والتغيير النفسي الذي كان من أثر هذه التربية بالايمان والهجرة، وفي هذا الوقت السريع. وقد خفف الله عن الأمة، وعلم أن فيها ضعفا، فكان كما قال سبحانه «**فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين**» آية ٦٦ (الأنفال)

وبعد هذا التخفيف ظل تفوق المؤمن ضرورة ـ الواحد باثنين ـ ولا بد أن يكون ذلك في الميادين كلها، العلمية والعملية، لأن الحرب لاتنفصل عن هذه الميادين، وخاصة في زماننا هذا، وقد كان الأمر كذلك في الزمن الأول، لأن تفوق الانسان المسلم كان متسقاً في الميادين كلها، وفي البناء الحضاري كله، وكانت الطفرة العلمية،

والحضارية، التي لاتزال موضع تقدير من كل منصف ولو كان من غير المسلمين، العناية بالكيف في تربية المسلم هي الأصل الذي تذكرنا به الهجرة، والعمل على تكوين النمط المتفوق في العلم والحرب والطب والمعارف كلها، وهذه الثلاثة: الايمان، والهجرة... والجهاد كانت هي المدرسة التي صاغت هذا النمط المتفوق صياغة تعجز عنها الاكاديميات التربوية المعاصرة إلا أن تكون في يد مؤمنة تعرف كيف تستوعب الدرس الأول. ثم ان هذه التربية قامت على السلوك العملي، و طرحت الثرثرة الكلامية طرحاً كاملا، واجمع كلام من شئت من هذا الجيل الذي غير وجه الحياة، فلن تجد اكثر من صفحات محدودة، واقرأ الخطب ذات المواقف الحاسمة كخطبة أبي بكر يوم انتقل الأمر من النبوة إلى الخلافة ـ وهذا شيء ضخم ـ فلن تجد أكثر من خمسة سطور، وقد كان السلوك العملي هو منهج مدرسة النبوة

التي صاغت الانسان المتفوق الرفيع، الذي تاه منا خبره، ورددنا مكانه تفوق الألمان وأمم الغرب بما فيهم اليهود، ولما فتحت مكة وانتهت الهجرة بفتحها عز ذلك على كثير من المسلمين، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الباب الذي أغلق ثوابه، فقال عليه السلام «إن الهجرة خصلتان احداهما: أن تهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولاتنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكفى الناس ألعمل» رواه أحمد بسنده الى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، وهذه الهجرة التي فتح الرسول بابها للامة قائمة على أصل الهجرة الأم، لانك حين تتأمل الكلام الشريف تجد فيه معنى انتزاع النفس من أهوائها، وغرائزها، (هجر السيئات) ثم فيه معنى التوجه الى الله ورسوله في السلوك، والأقوال، والأفعال، من حيث تنعقد عزيمته على ذلك، ويقوم سلوكه كله على نية متجهة إلى الله، كما جاء في الحديث «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر إليه» رواه البخاري ومسلم اللؤلؤ والمرجان بالحديث رقم ١٢٤٥، وهذا الحديث الشريف يفتح لنا باب الأمل في العودة الى الله، وأن تكون هجرتنا إليه بعدما طالت هجرتنا إلى دنيا نصيبها، وذلك أن أباطلحة الأنصاري كان قد أحب أم سليم رضوان الله عليها، وكانت امرأة ذات حسن وعقل، فهداها الله الى الاسلام، ولايزال على شركه، فلما طلبها قالت له بذكاء الأنثى وحصافة المؤمنة، ياأباطلحة إنك الرجل لاترفضه الحرة ولكن الله حرم المسلمة على المشرك، فلم يطق أبو طلحة الصبر عليها، فأسلم وهاجر، وكانت هجرته الى أم سليم ليصيبها، ثم حسن اسلامه، وصار من أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم، وقالوا ما سمعنا بمهر أفضل من مهر أمِّ سليم لأنه كان اسلام أبي طلحة، وهكذا انتهت الهجرة الى الله وقد بدأت إلى امرأة، فلننتقل مما نحن فيه كما انتقل أبوطلحة، ولنجتهد في أن تكون هجرتنا الى الله بعدما طالت هجرتنا الى الدنيا، والله غالب على أمره.



من فقهنا الإسلامي

تكاليف الملكية

للدكتور / إبراهيم محمد عبد الرحيم

لقد حظي الجانب الاقتصادي للحياة الإسلامية بتشريعات تضمن ارتباطه بالإطار العام للدين ومقررات الشريعة الغراء، كما تستهدف صلاح الفرد والجماعة في غير عسر ودون ما حرج.. واليوم حيث يموج العالم في فتن الظلمات والحروب وتهديداتها. وإذ تقصر القوانين والنظم الوضعية - إلى حد كبير - عن الوفاء بالمقاصد التي يراد حفظها بالتشريعات الإلهية. كما طغت المادية على جل المباديء والمثل، وأملت قانون القوة والأثرة بين الدول وفي صفوف الأفراد.. - اليوم نحن بحاجة إلى التمسك بالأسس الاقتصادية الإسلامية، التي خلعت على العلاقات المادية سمة أخلاقية تحول دون هذه الصراعات أو السلبيات.

ولا شك أن العالم الاسلامي - على وجه العموم - في أشد الحاجة إلى ذلك النظام المستمد من ضميره، والمؤتلف مع ثقافته وتراثه.. وتتأكد هذه الحاجة بصورة أوضح تبعا لاعتبارين مهمين:

أحدهما: أن الالتزام بالأصول الاقتصادية الإسلامية فرع عن العقيدة الدينية.

الثاني: أن النظم الاقتصادية البديلة - الوضعية - لا تتفق والبيئة الإسلامية الصحيحة.

ومن المقررات الإيمانية أن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته وحده، وأن الأموال والأرزاق والطيبات التي أودعها الحق سبحانه وتعالى في أرضه لا تخرج عن كونها وسائل تيسر على الإنسان - أوله - تحقيق الهدف من خلقه، ومن ثم شرع الله أصولاً وقواعد لدفع مفسداتها ومهلكاتها، وحتى لا ينشغل بالوسيلة عن الغاية.. فبقيت ملكية الأموال أو الثروات ملكية أصلية لله، وعارية في يد هذا الإنسان.

ثم هو مجرد خليفة وعليه أن يكتسب المال ويتصرف فيه على النحو الذي ارتضاه له موكله.. كما هو الحال في فقه البشر تماما، إذ يكون للمالك الحق في أن يضع الشروط أو القيود أو التوجيهات لمن يستخلفه أو ينيبه. وهذا ما نجده بالفعل في المنهج الإسلامي من ضوابط تحدد حرية المستخلف على المال: كسبا وإنفاقاً وإنماء.. وقد سبق علماؤنا بالفضل فبسطوا الحديث في تلك الضوابط أو التكاليف، التي ترد على ملكية الأموال، وقسموها إلى تكاليف إيجابية - وهي المتعلقة باستثمارها أو زيادتها - وإلى تكاليف سلبية كالزكاة وسائر أشكال الاستهلاك والإنفاق.. ولأن هذه التكاليف - بقسميها - تمثل المباديء الجوهرية للاقتصاد الإسلامي، كما أنها تلخص بعض الحقائق التي غرستها توجيهات الإسلام - الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية - في وجدان المسلم وسلوكه، بحكم كونها تكاليف تنضبط بها أنشطة المال - لهذا كله رأيت أن أشير إلى أهم تلك التكاليف (الشرعية) بقسميها فيما يلي:

التكليف الأول: وجوب استثمار المال، بمعنى أن يوجه رب المال نشاطه وقدراته إلى استثمار ماله في نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار، على نحو يفي بحاجاته هو ومن يعولهم وفاء طيبا، وبغير عدوان على مصلحة المجتمع..

وهذا التكليف له ما يؤيده في القرآن والسنة وأقوال السلف

الصالح، ألا تعرف ـ مثلا ـ أن من أسرار فريضة الزكاة أن يتجه صاحب المال إلى تنميته وعدم كنزه أو تجميده في صورة ذهب أو فضة أو أحجار كريمة، وإلا أكلته الزكاة عاما بعد عام؟.. ثم هنالك النهي عن الكنز، وعن (إضاعة المال) مع دلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير من اليد السفلى) متفق عليهما.. إلى جانب فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض في نصوص كثيرة أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما.. وقد قال بعض الحكماء: (إن تثمير المال آلة المكارم، وعون على الدين، ومتألف الإخوان، وأن من فقد ماله قلت الرغبة فيه والرهبة منه، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به!

وها هو الفقه الإسلامي والسياسة الشرعية يقرران جواز تدخل ولي الأمر في حالة تعطيل استثمار رأس مال منتج، مما يخلف أثراً سلبياً على صاحبه وعلى المجتمع، فمثلاً إحياء الأرض الموات أو احتجارها ـ وهي غير مملوكة لأحد ـ ثابت بالسنة المطهرة، لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (في خلافته) وجد أن بعض الناس يحتجرون الأرض، ثم يتركونها زمناً طويلاً غير معمورة، وحيث إن احتجارها يمنع الغير من استصلاحها وعمارتها لذلك قال عمر على المنبر: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين) وقال أيضاً: (من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له).. على أنه ـ رضي الله عنه ـ طبق هذا التكليف على بلال بن الحارث المزني، وكان الرسول قد أقطعه أرض العقيق فعجز عن عمارتها، فقال له عمر: (إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقطعك لتحجره ـ يريد العقيق ـ عن الناس، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورد الباقي) فأبى بلال، وقال: لا أفعل والله، شيء أقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: (والله لتفعلن) وأخذ منه ما عجز عن عمارته وقسمه بين المسلمين.. وأحسب أن هذا هو العدل والواجب، فالأرض لمن أحياها، لا لمن أحتجرها وعجز عن عمارتها. ثم إن حكمة ذلك التطبيق ـ أي ما صنع عمر ـ ظاهرة في كل عصر، لاسيما عصرنا هذا، الذي عطلنا فيه كثيراً من مواردنا الطبيعية وأهملنا استثمارها، إلى أن جاء الاستعمار العسكري ـ ثم الاقتصادي والسياسي ـ فأطبق على معظم ثرواتنا، ومضى يحاربنا إما بما يستخرجه منها، أو بما يعود عليه منها: وإذا كنا نرى بعض التشريعات المالية الوضعية ـ في الدول الغربية وغيرها ـ تحرص على تكليف مالك المال بمداومة استثماره ليؤدي وظيفته الاجتماعية، من ذلك أنها

تفرض ضريبة على الأرض الزراعية ـ وإن لم تكن مستغلة بالفعل ـ على أساس قيمة ما قد تنتجه من محاصيل. وبعضها يقضي بضريبة دخل مفترض على ذوي الدخول الكبيرة، وإن جمدوا جزءاً من أموالهم في أشياء غير منتجة... أفلا يجب على شعوب العالم الإسلامي ـ وفي هذا العصر بالذات ـ أن تنفذ تكليفاً فرضه عليها شرعها الإلهي، وطبقه عملياً صدر الأمة الإسلامية حكاما ومحكومين؟!

التكليف الثاني: وجوب اتباع أفضل السبل والوسائل في تنمية عناصر الإنتاج، لأننا إذا سلمنا بمشروعية وجوب استثمار المال ـ بمقتضى التكليف السابق ـ فإنه يحق لنا أن نذهب أيضاً إلى ضرورة اتباع ارشد السبل وأفضلها في الاستثمار، فـ (ما لا يتم الواجب إلا به ـ وهو مقدور للمكلف ـ فهو واجب)، ثم إن العلة في هذين التكليفين واحدة، وهي السعي إلى دفع الفقر ومآسيه عن الفرد والمجتمع، والتمتع بالخيرات التي تنتج من استثمار الأموال.. فضلاً عن أن الاتجاهين أو التكليفين المذكورين يمثلان ضرورة في ظروف العالم الإسلامي المعاصر. وعلى ذلك يمكن أن أقرر الآتي:

- إذا توصل العلم الحديث لأساليب وطرائق جديدة في التنمية ـ أيا كان مجالها ـ فإن على المسلم أن يفيد منها في كل ما يباشره من عمل وسعي ابتغاء فضل الله.. فما تلك الوسائل والأساليب إلا إحدى نتائج استنباط أسرار الكون، الذي سخره الله للانسان، وأمره ـ في أكثر من نص ـ بالكشف عنها، والتدبر فيها، حتى يحقق معنى الخلافة في الأرض وعمارتها.

- إذا عمد مالك المال إلى اتباع اسلوب استثماري يؤدي إلى تلف رأس المال أو جزء منه، أو حتى ضآلة الإنتاج كان من حق ولي الأمر ـ في كل مجتمع إسلامي ـ أن يرده عن ذلك الأسلوب إلى ما هو أقوم وأرشد، ولا سيما إذا كانت ظروف المجتمع ومستويات المعيشة فيه تقتضي هذا.. فإن (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) و (الضرر يزال) و (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام).

التكليف الثالث: وجوب توجيه التنمية الاقتصادية لموارد الانتاج إلى ما تمليه ضرورات المجتمع واحتياجاته، بحيث يكون متوازناً في كيانه الاقتصادي، بقدر ما تتيح له موارده وإمكاناته الطبيعية والبشرية، وهي ـ والحمد لله ـ كثيرة، فقد تجمعت في أرجاء العالم الإسلامي من

خيرات الله في ظاهر الأرض وباطنها ما لم يتوافر ـ على هذا النحو من التجمع والوفرة ـ في أية أمة في الأرض.. ولذلك لا أجد حرجا في القول بضرورة توزيع تلك الموارد (الانتاجية) بين الأنشطة الاقتصادية والانمائية بصورة متوازنة، فلا نقصر ـ مثلا ـ توظيف الأموال واهتمامات الناس على زراعة الأرض أو الأمن الغذائي، وبناء العمارات.. ونهمل التصنيع والتجارة والتعدين... إلخ.

ومن ثم قرر علماء الإسلام أن كل ما لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده ضروري، ومن فروض الكفاية التي يأثم ولي الأمر ـ ومعه المجتمع ـ إذا لم يقم بين الناس من ينهض بها ويتوافر عليها، ولا يرتفع هذا الإثم إلا إذا تحققت هذه الأمور على نحو ما،وحسبي أن أقرر هنا: أن الكفاية الصناعية ـ فضلا عن كونها تفتح مغاليق الرزق وتحارب الفقر ـ تغنينا عن أن نظل عالة على خصومنا في استيراد بل استجداء ما نفتقر إليه من سلع مصنوعة، وتعصمنا من أذى موالاتهم في الحق وفي الباطل.. على هذه الكفاية الصناعية أصبحت أمراً حتميا تفرضه ضرورة البقاء في هذا العصر ـ إذ القوى العدوانية الغاشمة تحدق بالعالم الإسلامي من كل جانب ـ ومن ثم تدخل في التكليف الشرعي: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** الآية ٦٠ الأنفال.. ولا يرتاب عاقل في أن أساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق مبدأ إسلامي ذي أثر خطير في حياة المسلمين، ألا وهو مبدأ استقلال الأمة الإسلامية في تهيئة أو توافر ما تحتاج إليه من الضروريات فيما بينها، وبيد أبنائها، دون أن تمد يدها إلى غيرها من الأمم. مع الأخذ في الاعتبار أن عدم الاستقلال الاقتصادي سبب مباشر من الأسباب التي تهدد الاستقلال السياسي، وهذا الارتباط يعد من المسلمات قديماً وحديثاً!

التكليف الرابع: اجتناب الضرر في استغلال المال، فالتشريع الاسلامي لايعرف الاستبداد في استخدام الأموال، أقصد حجب منفعتها عن الآخرين بطريقة تعسفية. ثم هو يلزم صاحب المال أن يمتنع عن استعماله على نحو يلحق الضرر به، أو بمال الآخرين وحقوقهم، أو بمصلحة الجماعة.. أعود فاقول: إذا كان الإسلام قد نهى عن إضاعة المال، فإنه نهى ـ كذلك ـ عن الإسراف والتقتير، لأن كلا منهما يتعارض مع المصالح المعتبرة شرعاً للفرد والمجتمع. هذا إلى جانب أنماط كثيرة من البيوع المنهي عنها بسبب الضرر أو الغبن كالتلقي والمصراة والنجش، وبيع الرجل على بيع أخيه، والغرر

الفاحش والربا والغش ونحو هذا من صور أكل مال الغير بالباطل. ثم هنالك حقوق الجوار العقارية، وحقوق الارتفاق.. وضابط ذلك كله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار) ـ الموطأ: كتاب الأقضية ـ الذي يتضمن مبدأ يعد من أركان الشريعة الإسلامية، وأحد الأعمدة الرئيسة التي يدور عليها الفقه الإسلامي.. ولذلك حفلت مراجع فقهنا بتطبيقات عملية كثيرة له منذ عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اليوم، نذكر منها حديثا: (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) البخاري: كتاب المظالم. ومسلم: كتاب المساقاة والمزارعة.

وقضية الزبير والأنصاري في شراج الحرة، التي نزل بشأنها قوله تعالى: (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم..**) الآية ٦٥ النساء.. ومثلها ما كان من سمرة بن جندب ونخله الذي تأذى به رجل من الأنصار وأبى رفع هذا الضرر..

وكذلك في عهد عمر رفض محمد بن مسلمة أن يسقي الضحاك بن خليفة أرضا له، برغم أن ذلك لا يضر محمداً.. فقال له عمر: (والله ليمرن به ولو على بطنك) ـ الموطأ: كتاب الأقضية ـ وفعل قريبا من هذا مع عبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان.. وكله من فقه عمر وعدله: إن على المالك ـ في ملكه ـ حقوقاً مقررة ثابتة أساسها منع ضرر الغير، بل نفع الغير إن لم يكن ثمة ضرر لاحق به.

إن شريعة الإسلام ـ بمقتضى النهي عن الضرر والضرار ـ لا تقر أي نشاط له منفعة تبادلية، ويحقق ربحاً لكنه لايخلو من الضرر والضرار، أو لا تنتفي عنه صفة الفساد والإفساد، مثل الاحتكار والرشوة والتجارة في المواد المحرمة والضارة.. وما أشبه ذلك من طرائق الكسب والتنمية المالية الشائعة في الحضارة المادية المعاصرة. فليعلم أولئك الذين فتنوا بهذه الحضارة ـ غربية أو شرقية ـ أن الإسلام له نظامه المتميز، وأن بيئته الأصيلة بتراثها ومعتقداتها وتقاليدها تأبى الانسلاخ من خصائص مقوماتها، والثقة بصلاح ماعند القوم بلا قيد ولا شرط!

التكليف الخامس: الزكاة، وما في معناها من وجوه الانفاق الأخرى، التي تقرر ـ في جملتها ـ التزام المسلم بأداء قدر محدود ـ أو غير محدود ـ من أمواله (بشرائط مخصوصة) لمصلحة الطبقات الفقيرة والمستحقة عطف المجتمع.. ولذا قرر الفقهاء أن في المال حقا سوى الزكاة.

وحتى لو تجاوزنا الجانب التعبدي لهذا التكليف (ونحوه) - والتمثل في طهارة النفس والمال - فإن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية جديرة بأن ننبه عليها، ذلك أن الزكاة مثلا - بما تبثه من تراحم بين فئات المجتمع، وما تنزع من غل لدى الطبقات المحرومة إزاء الموسرين - فإنها تساعد على توزيع الثروة أو تحول دون تكدسها في أيد قليلة، وما يلزم هذا من مساويء خطيرة: أخلاقية واجتماعية واقتصادية.

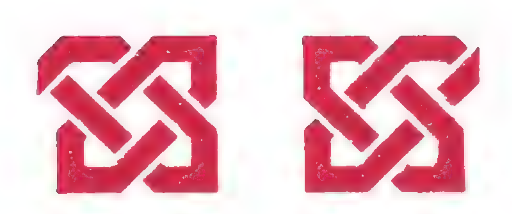
إن النصيب أو المقدار الذي يعطي للفقير أو المسكين من الزكاة وغيرها لا يقصد به إطعامه أو سد خلّته فقط، وإنما يهدف - غالبا - إلى خلق فرص عمل للقادر منهم، إذ يعطي ما يمكن أن نسميه رأس مال ليبدأ تجارة ينمِيها، أو يشتري آلة لصنعة أو حرفة يجيدها.. وقد ضرب لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل الطيب في هذا، عندما أشار على الأنصاري - الذي جاء يسأله صدقة - بأن يشتري قدوما فيحتطب ويبيع، وقال له: (هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة. إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، ولذي غرم مفظع، ولذي دم موجع) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة.. وكان عمر رضي الله عنه يحث الفقراء على أن يبتاعوا غنما بنصيبهم لتكون لهم أصول ثروة، فيستجيب أكثرهم له ويعملون بنصيحته..

ومعلوم أن الغنم أو الرعي على وجه العموم من أهم مصادر الثراء في ذلك الوقت.

ومن جهة أخرى: فإن الزكاة من التشريعات المتميزة في الحض على استثمار الأموال، وعدم تعطيلها.. وإلا أكلتها الزكاة تدريجياً، حتى تصل إلى مادون النصاب في غضون أربعين عاماً (هي نسبة ١ إلى ٤٠) لأن معدل الزكاة في أغلب الأحوال ربع العشر أو (٢,٥٪) وذلك الهدف من أهداف الزكاة - وهو وجوب تنمية الأموال - كان ملحوظا فيما روي من أحاديث وأقوال كبار فقهاء الصحابة والتابعين وغيرهم، مثل: (ألا من ولي يتيما له مال فليتجر له فيه، ولا يتركه فتأكله الصدقة) ونحوه كثير. وما قررناه عن الزكاة - باعتبارها إحدى التكليفات الإيجابية، وإن كانت في نظر بعض الباحثين من التكليفات السلبية، الواردة على الملكية الفردية - ينطبق كذلك على وجوه الإنفاق الأخرى، سواء أكانت اجبارية أم اختيارية كبر الوالدين، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وفك العاني وهو الأسير... ونصوص القرآن والسنة الصحيحة في هذا - وشبهه - تكثر جداً، مما يجعلنا

نقرر مطمئنين: أن التكافل أو التعاون والمواساة في المجتمع الإسلامي فريضة لازمة، أو واجب لابد من أدائه. ومن مجموع ذلك كله يتبين لنا أن المنهج الإسلامي يحترم الملكية الفردية، ويحض صاحبها على العمل والكسب. وفي ذات الوقت يدعوه إلى أن يرحم أخاه المسكين أو ذا الحاجة، فيشركه في فضل ماله (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له...) من حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم: كتاب اللقطة ـ وبذلك يستل الحقد من الصدور، ويزرع المحبة والتراحم بين الجميع.. والشعار الذي يهيمن على أفراد المجتمع، ويربطهم بالقوة العليا هو:**(ورحمة ربك خير مما يجمعون)** الآية ٣٢ الزخرف. وإذا سلمنا بأن للمال وظيفة اجتماعية خطيرة، إلا أنه ليس هدف الحياة الوحيد، ولا ينبغي أن يشغل الإنسان عن ربه أو يشغل قلبه عن دينه، لأن للحياة قيمة أعلى من الثروة والتكالب على جمع المال.. ولذا ورد في الحديث: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة..) رواه البخاري. وأيضا: (ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت) صحيح مسلم: كتاب اللقطة ـ وما زاد على ماذكر في الحديث فأنت مسئول عنه: أين وضعته أو فيم أنفقته؟ وماذا أفدت إخوة لك في البشرية منه؟ ناهيك من أخوة الدين والقرابة!

وهكذا رأينا طائفة من الحقائق الإيمانية غرستها المباديء والقيم الإسلامية ـ أخلاقية واجتماعية واقتصادية ـ في وجدان المسلم، على أساس أنها تكاليف أو قيود تنضبط بها أنشطة المال في الكسب والانفاق.. وعلى الله قصد السبيل.





إن بدايات النهضة لأية أمة لابد أن ترتكز على جملة من المفاهيم العلمية والنفسية والاجتماعية الصحيحة لأن ما يبدأ خطأ، إما أن يذوى، وإما أن يلغى، وإذا استمر بقاؤه فهو بقاء غير منتج، ومآله في النهاية الى العدم ولذا فإن من الواجب أن يكون البدء صحيحا، وصريحا ونظيفا .

وتظل الأمة قوية ما بقيت المفاهيم الصحيحة تضخ العافية في تصوراتها وعقائدها وأخلاقها وسلوكها، دون حلول وسط، ودون مواءمة بين الصحيح والخطأ، أو الحق والباطل، وحين تبرد جذوة العقيدة، وتخمد حرارة اندفاعها في بدن الأمة، تبدأ عملية الترقيع واختلاط المعاني، ويحدث مايسمي في أمراض العيون بعمى الألوان، وتسكت الألسنة عن النقد، ويكف المصلحون عن التنبيه على مواطن الزلل. وتظهر تعلّات يظن المعتذرون بها أنها تغني عنهم شيئا، وماهي كذلك .

ولذا جاءت تنبيهات القرآن قاطعة، بألا يكون هناك ميل أو شبهة ميل إلى ما لدى المشركين، فمن البداية: **(قل**

يأيها الكافرون. لا أعبد ماتعبدون. ولا أنتم عابدون مـاأعبد. ولا أنـا عابد مـاعبدتم. ولا أنتم عـابدون مأعبد. لكم دينكم ولي دين) سورة الكافرون **(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)** القصص/٥٥ .

ومن البـدايـة أيضـا: «**والذين اتخـذوا مسجـداً ضـراراً وكفـراً وتفريقاً بين المؤمنـين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنـا إلا الحسنى والله يشهـد إنهم لكـاذبون . لا تقم فيـه أبـدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه**» التوبة/١٠٧ و ١٠٨ .

(مـا كـان للنبي والذين آمنـوا أن يستغفـروا للمشركـين ولو كانـوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) التوبة/١١٣

وآيات القرآن تتـرى في النهى عن موالاة الكفار واليهود والنصارى. وقد بلغت الحضارة الاسلامية أوج قوتها، يوم ان انتزعت تصوراتها من قرآنها وسنة نبيها، بمـا فيهما من مفـاهيم واضحـة وصحيحة وأصيلة،واليـوم ونحن نـأمـل في اعـادة مجد بنـاه الاجداد، على أسس صلبـة وعتيدة، ماذا آل اليه أمر كثير من المفاهيم التي شيدت على اساسها تلك الحضـارة؟ لقـد بهتت، وتحـولت مـدلولاتهـا، واختلطت بغيـرها. ولم يعـد الخـطأ والصواب واضحا فيها .

وهذا التداخل في المفاهيم يحـول دون إصـدار أحكام صحيحـة عـلى معظم القضايا المصيرية في حياتنـا، حتى ان بعض النـاس من كثرة مـا يعايش الالتواء في القصد، والدخل في النيـة يصاب ببـرود تجاه مـايفعل، فيمـوت ضميـره، وتتـطاول نفسـه الأمـارة، وتـذوى أو تختفي نفسـه المطمئنة واللوامة.

والمجتمـع المسلم يعـاني أشـد المعاناة من هذه النوعية، وخاصة حين يخدعون بسلوكهم القيادة السياسية أو الاداريـة، فيسـببـون في حـلوق المخلصين مرارة. وإنهم ليشبهون الى حد كبير الديـدان مصاصـة الدماء.

فهي تقتـات عـلى دمـاء الخلق، إنهم يدسون الفـرقة، ويـذمون كـل قيمة جليلة، ويلتمسـون للبـرآء العيـوب، ويكـرهون النـور بقـدر مـا يحبـون الظلمـة، يكرهـون الخلق، ويكـرههم الخـلق. ويـحـق فـيـهـم مـا رواه عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويـل لأقماع القـوم، ويل للمصرّين الذين يصـرون عـلى مـا فعلوا وهم يعلمـون» رواه احمد بـاسناد جيـد، والأقماع: الآذان والأسماع، والمراد تهـديـد الذين يـسمعـون الحق،

ويصرون على الباطل.

وكما قلت في البداية لابد من التفرقة بين المفاهيم حتى لا تتداخل، ولا تتغبش الرؤى، وتكون هناك جسور بين الصحيح والخطأ بين النافع والضار، بين ماهو مشروع، وماهو حرام.

وأول ما ينبغي أن ننبه عليه:

(١) التفرقة بين الذكاء والخداع :

إذ من المفروض أن الذكاء مِنَّة من الله على عبده، فأما الخداع فخلق مذموم، وبعض الناس لايفرق بينهما، فيستخدم ذكاءه في خداع الناس، يتلون تلون الحرباء، ويختل دنيا الناس بدينه، يظهر الود، ويبطن البغض، يتصنع البسمة، ويخفي النقمة، لايميزه وسم، ولايحده رسم.

وصدق الله العظيم: **(يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)** البقرة/ ٩و١٠

وقد يدفع الذكاء الى تصور مواهب وعلوم وكفاءات ليست في مقدور الذكي، فيندفع الى تحقيقها، بعد أن يُعْمَى عن خطئه وزلله، بل بعد أن ينسى الآخرة بأهوالها وعذابها، وأن الطريق الموصل إليها طريق مستقيم. وفي ذلك يقول الحارث بن أسد المحاسبي:

« إنك سألت عن آفة في كثير من العباد عظيمة، معمية عليهم ذنوبهم، ومزينة لهم خطأهم وزللهم، لأن العجب يعمى القلب، حتى يرى العجب أنه محسن وهو مسيء، وأنه ناج، وهو هالك، وأنه مصيب، وهو مخطيء.

ولا يلبث صاحبه المعتقد له، أن يركن إلى الغرة، فيستصغر ماعلم من ذنوبه وزلله، وينسى كثيرا منها، ويعمي عليه أكثرها، حتى لايظنه ذنبا، فيستكثر عمله، فيغتر به، فيقل خوفه، وتشتد بالله عز وجل غرته، بل قد يخرج صاحبه به الى الكذب على الله عز وجل، وهو يرى أنه عليه صادق، وإلى الضلالة، وهو يرى أنه مهتد، فبالعجب هلك أئمة الضلالة، وبالعجب تكبر المتكبرون، وافتخر المفتخرون، واختال المختالون، وبه هلاك آخر هذه الأمة ».

(٢) بين التأدب وإحقاق الحق :

ومن المفاهيم التي شابها الخطأ عدم التفريق بين سوء الأدب، وإحقاق الحق، فسوء الأدب مذموم، لأنه ينم عن نقص في الخلق، وضعف في التربية، ورقة في الدين، وكلها تنقص قيمة من لصقت به، فأما إحقاق الحق فينم عن قوة في الدين، وثقة بالله، لأن

الله هو الحق، ويقول الحق، وقد أقام شئون الكون على الحق، وأنزل القرآن بالحق. والقعود عن قول الحق، ونصرة الحق يحيل المتصف به الى شيطان أخرس، والذين يضيع الحق بينهم ملعونون، ومع هذا فإن الآلفين لأمر ما، مما ينبغي تقويمه لو قام من يقوم عوجه ما ألفوه سمعت منهم: هذا لا يحترم الكبار، وهذا حاد، أو سيء الخلق، لأننا في عصور الضعف، وتميع المفاهيم صرنا لانفرق بين إحقاق الحق بما يحتاجه من شدة أو حتى قسوة، وسوء الأدب بما فيه من نقص.

وإليكم هذه النصوص. لقد وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: (**ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**) المائدة/ ٥٤ ويعد الله خاذل الحق بالخذلان، وناصره بنصر الله تعالى له. فعن جابر وأبي طلحة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مامن مسلم يخذل أمراً مسلما. في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله، في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرىء ينصر مسلما، في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن، يحب فيه نصرته» رواه أبوداود.

وبهذا يتبين أن إحقاق الحق أكبر من السن والعلم والمنصب، والأب والأم، ومن رام إحقاق الحق، فخالف بذلك من هو أكبر منه، أو معلمه، أو أبويه، أو رئيسه. لا يعد بذلك متجاوزا للأدب. وقديما قال أرسطو: الحق صديقي، وأفلاطون صديقي، ولكن الحق أفضل عندي من أفلاطون.

والحق مر، ولكن لابد من قوله.

وقد قال أبو ذر رضي الله عنه: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير، أوصاني: ألا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق، ولو كان مرا» رواه ابن حبان.

وفي نصرة الحق ولو على كبير السن يقول الحارث بن أسد المحاسبي حاضا على عدم السكوت على إحقاق الحق استحياء من ذي شيبة يخالف الحق: «وقد يأتي الرجل الشيء ـ أو يتركه ـ استحياء من الخلق ـ والحياء من الله عز وجل أولى، وذلك كمن يرى من شيخ مسلم منكرا، فيريد أن ينهاه فيستحي. وخير له أن ينهاه، لأن الحياء من الله عز وجل أولى».

وهكذا لابد لنا في معارك بناء الأمة

أن يعلو صوت الحق على كل صوت، وأن نميز بين نصرة الحق ووصم ناصريه بسوء الأدب، بينما هم في الحقيقة دعاة خير، ورعاة بر، ورواد هدى .

(٣) بين النفاق والسياسة :

ومن مخلفات عصور التبلد الديني عدم التفرقة بين النفاق والسياسة، فبعض الناس يسير في حياته على مبدأ أن يظهر خلاف ما يبطن، ويداري داخله خلف ابتسامة باهتة صفراء، بعرض وجهه كله. يظهر البشاشة وباطنه أسود، وفكره مظلم، كما يقولون:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

إذا سلم على رجل صباح يوم، فلينتظر الأذى منه في مسائه، الغاية عندهم تبرر الوسيلة، ولو كانت إراقة دم، أو رشوة، أو كذبا، أو دجلا. أو أي محرم كائنا ماكان.

وإذا لمت أحدهم قال: هذه سياسة أو شطارة، لا يسميها نفاقا، ولا رياء، ولا وصولية، ولا انتهازية. فالسياسة عندهم تجرّد من كل القيم. لهم مع كل طائفة رسم ووسم، بخورهم جاهز للاحراق في كل وقت وموقف. وهم مع المسلمين مسلمون، ومع النصارى نصارى، ومع اليهود يهود.. الخ مقصودهم ومعبودهم تحقيق غاياتهم الدنيئة. حواسهم متبلدة، وضمائرهم خامدة، وبصائرهم عمياء. والمهم هو الوصول الى مايريدون من أي طريق، وبأية وسيلة، يعضون الأيدي التي تصل إليهم بالمعروف، ويحفرون القبور لمن يأخذ بأيديهم إلى الصعود.

والغريب كل الغرابة أن لهم وجاهة ويتسنمون غارب مناصب، ويجدون من يداري سوآتهم، إنهم ياأبناء أمتي لأخطر على أمتنا من أعدى أعدائها. إنهم السوس الذي ينخر في الخفاء، والدود الذي يعمل في الظلام، ومن الواجب تأخيرهم من حيث أخرهم الله، وبترهم حتى نحتفظ لأمتنا بعافيتها يقول عنهم رب العزة سبحانه وتعالى: **(وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)** المنافقون / ٤.

وهؤلاء مفضوحون على مر الأيام كما قيل:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإن السياسة حقا هي التوفيق بين الحاجات المتضاربة، والتأليف بين القلوب المتنافرة، وجمع الأمة على غاية واحدة، دون كذب. أو نفاق، أو رياء.

ومنها مداراة أهل الشر درءا لشرهم

وتأليفا لقلوبهم. وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ائذنوا له: بئس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة. فلما دخل ألان له الكلام». قلنا: يارسول الله. قلت ماقلت. ثم ألنت له الكلام. قال: أي عائشة: «إن شر الناس من تركه الناس، أو ودعه الناس اتقاء فحشه.» حديث رقم ١٦٧٢ من اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

(٤) بين القيادة الأصيلة والقيادة الهزيلة :

الأصل في الإسلام أن يستحق القيادة المؤهلون لها بصفتين رئيستين هما الجهاد، والاجتهاد، فبالجهاد تحافظ القيادة على هيبة أمتها، وتصنع لها مكانة بين أمم الأرض، وبالاجتهاد تقدر القيادة على سياسة امتها من الداخل، وهذا النوع قليل، ولكن وجوده ليس مستحيلا.

فأما الوصول الى القيادة بالمحسوبية والرشوة والمحاباة، وتزييف ارادة الناس. وإلباس الباطل ثوب الحق. والشللية. والتجمع على المنافع فهو رغم حدوثه إلا ان احدا لا ينكر انه مرض. ويجب العمل على اجتثاثه. وإخلاء الطريق للكفاءات العقلية والعلمية والعملية والخلقية. وإن كانت تلك الكفاءات من قاع المجتمعات، ورحم الله عمر رضي الله عنه وهو يلقن الأمة كلها درسا في تقدير الكفاءة بقوله: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته.

وإن الإسلام لا يولى إلا القادر على التصرف في أعقد الأمور وأبسطها بنزاهة، دون حيف على حق أحد من الرعية، أو من المرءوسين.

فأما تقدم الصفوف بالختل والخداع، وتمنية البعض بالتقدم على حساب البعض الآخر، أو احتياز المنافع دونه، فذاك سر تخلف شعوبنا، حيث يشكل المخادعون والمنتفعون أخطبوطا يلتف حول كل قيمة ليزيفها، أو نظيف ليقذره، أو نزيه ليشوهه، وأعرف منهم أحدا يعلم الله ماسمعته يمدح أحدا، والناس كل الناس لهم عنده عيوب يعرفها، ولايعرفها غيره. ودائما: فلان اسألني انا عليه. ولكن أملنا معقود على أمتنا، حيث تميز الخبيث من الطيب والنفعي من المخلص، وتقصى تلك الجموع المجتمعة على منفعتها. أو تكشفهم وتدعهم يأكل بعضهم بعضا. ويحطم بعضهم أناف بعض.

وإن انكد ما تصاب به مؤسسة ان يتقدم الجهلاء ويتاخر العلماء. او يتاخر الاكفاء ويتقدم العاجزون. وتصطنع القاب تحتمي بها رءوس فارغة. وقلوب هواء. كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد. وإن المناصب في

الإسلام لينبغي أن تمر من خلال مصفاة دقيقة تنقي الفاسد، وتزيح البهرج، وتحقق قانون إذهاب الزبد جفاء كما يقرر العزيز الحميد يقول تعالى. **(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد/ ١٧

وقانون إحقاق الحق وإبطال الباطل **(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)** الأنفال/ ٧و٨

ثم قانون التمكين في الأرض **(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)** الحج/ ٤١

إن القيادة ليست وجاهة، إنها تكليف يشرف به الكفء لأنه من أمته تقدير لكفاءته، وقد عجبت ولم ينقض عجبي من ثعلب يرتدي ثياب الأسد، وجاهل مفضوح الجهل يتزيى بزي أهل العلم. وانظروا مايقول رب العزة عن مؤهلات القيادة: **(قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)** القصص/ ٢٦ ويقول: **(اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)** يوسف/ ٥٥

فالقوة والأمانة والحفظ والعلم من مؤهلات تحمل المسئولية الحقة. ولذا ينبه الرسول الكريم من به ضعف أي ضعف ألا يطلب القيادة.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله. ألا تستعملني؟ قال: فضرب، بيده على منكبي، ثم قال:«يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» رواه مسلم.

وللذين يخططون الخطط، ويحيكون المؤامرات للوصول إلى الرئاسات، أية رئاسات كانت،يروي عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قول رسول صلى الله عليه وسلم: «ياعبدالرحمن لاتسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» رواه مسلم.

وياويل أمة توجد بين قياداتها فئات تجيد التزلف أكثر مما تجيد الصراحة، وتجيد المداهنة أكثر مما تملك القوة في الحق، وياويحها إذا حكمها من يجيد طريقة «فرق تسد» ولايجيد طريقة جمع تسد، وتسد أمتك معك، وإن الذي يحكم بطريقة «فرق تسد» هزيل بين هزلاء وأصحاء وعويل بين أصلاء وغير أصلاء، إنه يخاف اجتماع الكلمة وشيوع الألفة، ويبتغي الريبة فيفسد بذلك مرءوسيه، إنه مع كل منهم بوجه، ومع كل مشرب بلغة وصدق الرسول الكريم روى عمار بن

ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار». رواه ابو داود وابن حبان

(٥) ثم الفرق بين التدين وتدريس الدين:

في القرآن والسنة جملة نصوص تشدد النكير على من يدعو لشيء ويعمل ضده، أو ينهي عن شيء، ويقع فيه لأنها الفتنة. فتنة المفارقة بين القول والعمل، وهي تزرع في القلوب الاستخفاف بالدين ودعاته لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولأن الوالغ في الشيء لايصلح ناهيا عنه، والداعي للشيء قولا لا عملا لايؤبه له. وهناك أقوام ذوو علم بالدين، سلوكهم في جهة، ودين الله في جهة، قلوبهم صدئة، وحواسهم جامدة، هم كما حكى القرآن الكريم: (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**) البقرة/ ٧٤

وهؤلاء لا ينبغي ربط الحق بهم، فالحق لا يعرف بالرجال، ولكن من يعرف الحق يعرف أهله. ونسأل الله بما سأل به ابراهيم ربه (**ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**) الممتحنة/ ٥

ونسأل أمتنا ألا تأخذ الحق كل الحق إلا من كتاب ربها وسنة نبيها.

والآن لنتدبر معا تلك النصوص. يقول الحق جل وعلا في كتابه الكريم: (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**) البقرة/ ٤٤

ويقول على لسان شعيب عليه السلام: (**قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وماأريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**) هود/ ٨٨

ويقول (**ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) الصف/ ٢و٣

والآن ماذا يقول وعاظ الناس ومعلموهم، الذين لا يعملون بما يقولون. إنه سبحانه وتعالى في الآية الأولى ينفي عنهم العقل النافع، وفي الثانية يحذر من مخالفة ماتنهي الناس عنه، وفي الثالثة يتوعد بالمقت من يفعل خلاف مايقول.

وتعالوا الى السنة المشرفة نتأمل مايقوله البشير النذير لهؤلاء:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
«يؤتي بالرجل يوم القيامة، فيلقي في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه

أهل النار، فيقولون: يافلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت أمر بالمعروف، ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«رأيت ليلة أسري بي رجالا، تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟ قال:«الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون» رواه ابن أبي الدنيا، وابن حبان، واللفظ له والبيهقي.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان».

رواه الطبراني في الكبير والبزار، ورواته محتج بهم في الصحيح .

هذه صفات أدعياء التدين، منافق عليم اللسان، يأمر بالبر وينسى نفسه، يأمر بالمعروف ولا يأتيه وذاك جزاؤه، تندلق أقتاب بطنه في النار، يدور كما يدور الحمار في الرحى، يقرض لسانه بمقراض من نار، إنهم كانوا يريدون حرث الدنيا، ولا يريدون حرث الآخرة، يقول تعالى: **(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب)** الشورى/ ٢٠

ولأختم هذه الفروق بهذا الحديث في الترهيب من الرياء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأتي به، فعرَّفه نعمته، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها، إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار». رواه مسلم والنسائي والترمذي وحسنه وابن حبان.

كارثة إيران
والأسـرة الإنسـانيـة

* روع العالم بأخبار كارثة إيران.. وبما أحدثه الزلزال من دمار.. وما ألحقه من خسائر.. مات بسببه أكثر من خمسين ألفاً.. كما تقول الاحصائيات... وشرد أكثر من مليون ونصف مليون إنسان.. وأمسى قرابة نصف مليون من البشر بلا مأوى.. وإن «**الوعي الإسلامي**» وقد هزها من الأعماق هذا الحادث الأليم.. لتضرع إلى الله أن يشمل الراحلين إليه بواسع رحمته ومغفرته، وأن يسكنهم فسيح جناته.. وأن يلهم من بقوا على قيد الحياة الصبـر، والرضا. وأن يلطف بهم، ويكـون في عونهم .

* وإن هذا الزلزال رغم بشاعته لدليل على قدرة الله. وأنه خالق النظام الكوني.. وهو وحده القادر على خرق هذا النظام.. لنعلم أن الأرض مهما ازخرفت وازينت إلا أنها قشرة هشة.. لاندري من أين ستتحطم... وما الكوكب الذي نعيش عليه إلا كوكب ضعيف... إذا أراد الله له أن يزول فلا راد لقضائه.. قال تعالى: «**إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان مالها. يومئذ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها**». فسبحان الله القادر العظيم.

* وإذا كان لهذه الكارثة من حسنات. فهي أنها جعلت الناس جميعاً يعودون إلى أصلهم من أب واحد وأم واحدة.. يعيشون أعضاء في أسرة إنسانية... انهالت المعونات ومواد الاغاثة من كل دول العالم على إيران... من ديار العرب والمسلمين.. ومن فرنسا. وايـطاليا، وأمـريكا، ومن شتى بقـاع العالم، وسقـطت الحواجـز السياسية والجغرافية .. ولعل ذلك يدعونا إلى أن نتجاوز كل العقبات، وأن نتعالى فوق النزاعات الاقليمية..

* ينبغي علينا نحن العرب والمسلمين خاصة أن نعيش في دوائر ثلاث.. **الأولى**: دائرة عربية.. باعتبار العروبة وعاء الاسلام ولغة القرآن. لا باعتبارها عنصرية.. **الثانية**: دائرة اسلامية.. تضم المسلمين جميعا مهما اختلفت أعراقهم وألسنتهم. **والثالثة والأخيرة**: دائرة إنسانية.. باعتبار أن الناس جميعا يرجعون في أصل نشأتهم إلى آدم وحواء.. قال تعالى: «**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**».

لهذا فمسئوليتنا تجاه الجارة المسلمة إيران مضاعفة... وكويتنا لم تتوان عن مد يد المساعدة.. ودعاؤنا إلى الله أن يلطف بنا، ويعفو عن مسيئنا.

المحرر : فهمي الإمام



نظرة في تاريخ الاستشراق ٣

أخطر مراحل الفكر الاستشراقي

للأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي

في نحو منتصف القرن الثامن عشر ثبت الاستشراق اقدامه، ووطد مراكزه ورسم اتجاهه، وحدد معالمه، ومن ثم بدأ مرحلته الثالثة التي تعد أخطر مراحله، لأنه في المرحلتين الأولى والثانية لم يستطع أن يغزو العقلية الاسلامية بما سطره من أباطيل، وإن كان قد نجح في اختراع الاتهامات ضد الإسلام والمسلمين، والترويج لها بين الأوربين، فأورثهم بذلك حقداً على هذا الدين وأهله، وتشويها لحقائقه وتاريخه، حتى بين كبار المفكرين منهم، فمارتن لوثر ـ وهو من زعماء الاصلاح في عصر النهضة ـ ينتقد الاسلام انتقاداً لاذعاً في مقدمة الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم والتي قام بنشرها روبرت تشستر سنة ١٥٤٣م، ويصف نبي الإسلام بما وصفه به رهبان العصور الوسطى، فهو في نظره لا يتعاطى إلا اللذات الشهوانية، ولا يمثل فضيلة من الفضائل الانسانية (وانظر مجلة الآداب البيرونية العدد: ٤ سنة ١٩٨٣ ص١٦). ولكن الاستشراق في

مرحلته الثالثة ـ فضلاً عن استمرارية التشويه للإسلام بين الأوربيين ـ استطاع أن يقوم بدوره كاملاً في خدمة السياسة الاستعمارية وبلبلة الأفكار حول كثير من قضايا الفكر الإسلامي، وأن يتعاون القائمون به في كل قارات العالم على الإثم والعدوان، ولذا اتسمت هذه المرحلة بما يلي:

أولاً: تبلور مصطلح الاستشراق، واستخدم لأول مرة عام ١٧٦٩م في قاموس اكسفورد للغة الانجليزية، وأدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م، وأصبح يطلق هذا المصطلح على كل فروع العلم التي تهتم بدراسة الشعوب الشرقية من جميع جوانبها، بما لها من ديانات ولغات وعلوم وآداب وفنون.... إلخ..

ويقصد بالعالم الشرقي أجزاء العالم المصنفة حسب التصنيف الأوربي، والتي تضم تلك الشعوب التي تقع شرق قارة أوربا، والتي قسمتها النظرية الأوربية ثلاثة أقسام: الشرق الأدنى، والشرق الأوسط، والشرق الأقصى.

ويلاحظ أن ذلك المصطلح، وفق النظرية الأوربية يسوي بين ديانات وعادات العالم الشرقي، ولا يكاد يفرق بين العقيدة الإسلامية والديانة البوذية، وهذا خطأ علمي نشأت عنه إساءة بالغة للإسلام وحضارته.

ثانياً: توطدت العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، بل إن الاستشراق أصبح الطريق العلمي لاحتلال الشعوب الاسلامية، وأصبح المستشرقون بوجه عام موظفين في دوائر الاستخبارات في وزارتي الخارجية والمستعمرات، وكانوا مستشارين لدولهم فيما يتعلق بمواقفها السياسية والحربية من الدول الاسلامية، وقام بعضهم بدور التجسس تحت ستار مزيف من البحث الأكاديمي، أو الايمان الكاذب بالاسلام، ومنهم من دخل مكة والمدينة بهذا الستار،كذلك المستشرق الهولندي الذي يدعى «شرود» فقد زعم أنه مسلم، وذهب إلى مكة والمدينة في القرن التاسع عشر، وكان جاسوساً يعمل ضد تركيا..

ومنهم من كان يعد لمهمة التجسس بطريقة تنفي عنه كل الشبهات، كهذا المستشرق الذي حدثني عنه الدكتور طه حسين قال: إن مستشرقاً فرنسياً جاء إلى مصر ومعه زوجته، وأسلم والتحق بالأزهر، وادعى انه كفيف، وكانت زوجتي تعطف عليه، وتتألم لحاله، وقد زارني كثيراً، وتبين بعد ذلك أن هذا المستشرق ليس كفيفاً، وأنه من أجل القيام بمهمة التجسس كاملة وحتى لا ينكشف أمره أجريت له عملية جراحية، بدا بعدها وكأنه كفيف

لا يبصر، وقد رحل هذا المستشرق من مصر دون أن يحقق هو وزجته المهمة التي كلفا بها (وانظر أيام مع طه حسين للكاتب ص ٥٣)

ومن قبل هذا المستشرق وزوجته قام إدوارد هنري بالمر (ت: ١٨٨٢م) وهو مستشرق انجليزي بدور الجاسوس لبريطانيا في حربها مع البطل أحمد عرابي، فقد كانت بريطانيا تخشى أن يتعاون عرب سيناء مع عرب الصحراء الشرقية على ردم القناة وصد الهجوم الانجليزي، ولذلك عهدت إلى بالمر بمهمة الاتصال بمشايخ العرب في سيناء، وأمدته بعدة أكياس ذهبية، بلغ مجموعها عشرين ألف جنيه.

وحتى يستطيع بالمر أن يقوم بما طلب منه أن يقوم به تسمى باسم الشيخ عبد الله، وأطلق لحيته، وحمل مسبحته، وارتدى الجبة والقفطان ونجح فيما أرسل من أجله، وتحقق للانجليز ما أرادوا، وبعد معركة التل الكبير أدرك بعض المخلصين خيانة بالمر، وأنه كان جاسوساً منافقاً فدبروا له كميناً وقتلوه (وانظر مجلة الهلال فبراير ١٩٨٨ ص٣٨).

إن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار من الحقائق التاريخية التي لا ريب فيها، لقد مهد الاستشراق للاستعمار، وكان عوناً له في رسم سياسته، واتخاذ قراراته، فإيدن رئيس الوزراء البريطاني الأسبق لم يكن ليضع قراراً سياسياً في شئون الشرق الأوسط قبل أن يجتمع بأساتذته من المستشرقين في جامعة اكسفورد وكلية العلوم الشرقية، وما كان يفعله إيدن كان يفعله غيره من القادة السياسيين في أوربا وأمريكا وروسيا وما يزالون يفعلون.

لقد جند المستشرقون منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن ليكونوا أهم وسائل الاحتلال المادي والمعنوي، لقد درسوا الشعوب الاسلامية دراسة شاملة، وقدموا لرجال السياسة والحرب كل أسباب النصر على هذه الشعوب، وهم في سبيل ذلك لا يقيمون وزناً للموضوعية والأمانة العلمية..

ثالثاً: وإذا كان المستشرقون في المرحلة الثانية، وهي مرحلة ما بعد الحروب الصليبية قد عكفوا على دراسة الإسلام والمسلمين دون تنظيم أو تعاون وتنسيق بينهم، فهو نشاط فردي غالباً، وإن كان للكنيسة دورها في التوجيه العام لهذا النشاط فإنهم في المرحلة الثالثة أخذوا يعملون على جمع شملهم وتنسيق جهدهم، وتجلى هذا في المؤتمر الاستشراقي الدولي الذي عقد لأول مرة في باريس سنة ١٨٧٣م،

وكان بعد ذلك يعقد كل سنة ثم كل سنتين، ثم كل ثلاث سنوات على الأغلب أو أربع سنوات في بعض الأحيان.

وفي هذه المؤتمرات التي تضم ممثلين عن المستشرقين في مختلف البلدان وأيضاً بعض المفكرين العرب كانت تلقى الابحاث والدراسات حول الشرق وبخاصة الإسلامي وتاريخه وتراثه العقائدي والعلمي. وما كانت بوجه عام تعرض لوسائل النهوض به، أو استقلاله.

رابعاً: وكان من وسائل التنظيم والتنسيق، تبادل الزيارات بين المستشرقين، وإنشاء الجمعيات الاستشراقية، وهذه الجمعيات كانت تدعو إلى عقد المؤتمرات والندوات، وتضع لها جداول أعمالها. وكان الفرنسيون أسبق من غيرهم في هذا، ففي عام ١٧٨٧م أنشأوا جمعية للمستشرقين وفي عام ١٨٢٠م أنشأوا جمعية أخرى. وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣م، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها.

وفي عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيون جمعية باسم الجمعية الشرقية الامريكية. وقامت جمعيات أخرى في دول متعددة، وكانت كل جمعية بالاضافة إلى اشرافها على المؤتمرات الاستشراقية في وطنها تبذل جهداً فائقاً في دراسة الشرق وحضاراته ولغاته وتاريخه، ولا سيما الحضارة الإسلامية واللغة العربية لتقدم للحكومات في آخر كل سنة تقريرا لا يضم بين دفتيه الحقائق التي تفرضها الأمانة العلمية، والموضوعية الفكرية، وإنما ينطوي على سموم من الحقد مع كثير من التزييف والمغالطة.

على أن تأسيس تلك الجمعيات من جهة أخرى أدى إلى تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية وازدياد التنافس بينها لتحقيق الآمال الغربية في الهيمنة على الشرق ونهب ثرواته واستعمار شعوبه (وانظر فلسفة الاستشراق ص٨٢).

خامساً: بدأ ظهور الدوريات التي تعبر عن الفكر الاستشراقي، وما زال بعض هذه الدوريات يصدر حتى الآن، فقد كانت كل جمعية استشراقية تصدر مجلة غالباً، بل حاول مستشرقو كل أمة إصدار دورية خاصة بهم. وأخطر الدوريات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة العالم الاسلامي، وطابع هذه المجلة تبشيري سافر، كما أن للمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامي في روحها واتجاهها العدائي

التبشيري. (وانظر مجلة الأزهر م ٣١ ص ٥٢٣)

سادساً: لم يكن النشاط الاستشراقي في مرحلته الثانية قد شمل كل دول أوربا بدرجة سواء، فقد كانت دول غرب أوربا أسبق من سواها في هذا النشاط، فالمانيا مثلاً لم تكن كفرنسا أو ايطاليا في الاهتمام بالدراسات الشرقية..

وفي المرحلة الثالثة دخل ميدان الاستشراق كل دول أوربا، وتسابق الجميع في هذا الميدان بشتى الأساليب، كما ظهر في هذه المرحلة الاستشراق الامريكي، وجاء في تقرير عن مهمة هذا الاستشراق أنه عمل ضروري لحماية الأمن القومي. كذلك ظهر ما يمكن أن يطلق عليه الاستشراق الشرقي، أي ذلك الاستشراق الذي قامت به دول شرقية لا تدين بالاسلام كروسيا، وقد قام الاستشراق الروسي بدور كبير في مساعدة الصهيونية من أجل التغلغل في فلسطين، وإقامة الوطن اليهودي في قلب الوطن العربي، ففي عام ١٨٥٢ أنشأت القيصرية الروسية لجنة من المستشرقين والمتخصصين في المسائل العربية كان من بينها عناصر يهودية، وهدف هذه اللجنة الأول هو تهيئة الوسائل اللازمة لتأسيس بيوت لإيواء اليهود المهاجرين إلى فلسطين، وإنشاء مستشفيات لمرضاهم تحت إشراف البعثة الروسية التي اتخذت القدس الشريف مركزا لها بدعوى رعاية الكنائس التابعة لها والنصارى الذين ينتمون الى المذ هب الارثوذكسي الروسي.

وفي ي عام ١٨٦٤م بعثت روسيا بعض أعضاء هذه اللجنة إلى فلسطين سرا ، لتهيئة الوسائل اللازمة لإقامة ملاجىء ومصحات ودور للزوار اليهود الذين يصلون إلى القدس لزيارة المبكى في بيت المقدس من جميع أنحاء العالم .

وفي عام ١٨٨٢ أصبحت تلك اللجنة جمعية قائمة بذاتها ، واحتفلت في عام ١٩٧٢م بذكرى مرور تسعين عاما على تأسيسها ، وكان الاحتفال بمركز معهد الدراسات الاستشراقية التابع لأكاديمية العلوم بموسكو ، وألقى المستشرق الروسي : س . ل يتخفسكي كلمة رئيس الجمعية ، ثم قدم للحاضرين التقرير العام عن أعمال الجمعية ونشاطاتها ، ومنجزاتها التي قامت بها خلال تسعين عاما ، وجاء في هذه الكلمة : إن جمعية الاستشراق الروسي قد ساهمت مساهمة فعالة في إنجاز تحقيق الوطن القومي اليهودي في فلسطين (وانظر الاستشراق

الروسي ، مجلة الأمة القطرية ، العدد ٢٠) .

سابعا : على أن جهد الاستشراق الروسي في خدمة الأطماع الصهيونية لا يعني أن غير هذا الاستشراق كان بمنجاة من التحالف مع تلك الأطماع ، والعمل في سبيل تحقيقها ، فقد أسلفت في الحديث عن الفكر الاستشراقي بعد الحروب الصليبية أن هذا التحالف بدأ منذ عام ١٥٠٥م ثم نما بمرور السنين ، وبلغ الذروة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، حيث كانت كل الأقلام الاستشراقية بوجه عام مسخرة للأهواء اليهودية ، ولم يكن وعد بلفور المشئوم في عام ١٩١٧م الا ثمرة من ثمرات ذلك التحالف الآثم الظالم .

ثامنا : قام الاستشراق إلى جانب تنظيم نشاطه وتوسيعه عن طريق المؤتمرات والجمعيات ، وإصدار الدوريات ـ قام بتأسيس المراكز والمعاهد والكليات الخاصة بالدراسات الشرقية ، فلا تكاد تخلو عاصمة أوربية أو أمريكية أو روسية من مركز أو معهد استشراقي ، بل إن بعض هذه المراكز والمؤسسات العلمية في ظاهرها أُنشئت في عدد من العواصم العربية ، ومازال بعضها يقوم بمهمته التغريبية حتى الآن .

تاسعا : تضاعف الاهتمام بنقل التراث الإسلامي إلى أوربا وغيرها ، وقد ترجم قدر منه إلى اللغات الأجنبية ، وكان معظم ماتُرجم خاصا بالأدب واللغة والدراسات التاريخية ، كما طُبع منه قدر لا بأس به باللغة العربية .

وقد نظمت المكتبات التي تضم ذلك التراث ، ووضعت لها الفهارس التي تُرجم بعضها إلى العربية ، كذلك أُنشئت المكتبات التي تحتوي على الدراسات الاستشراقية ، وماصدر في العالم الشرقي من دوريات ومؤلفات .

عاشرا : رحل كثير من المستشرقين إلى العالم الإسلامي ، وأقام بعضهم في ربوعه مدة طويلة ، وكان منهم كما أشرت سابقا من يعمل جاسوسا ، ويزعم أنه مسلم ، ومنهم من رغب في دراسة هذا العالم عن مشاهدة وتجربة ومنهم من كان يقوم بالتبشير ، ومنهم من تولى التدريس في المدارس والجامعات ، كما أن منهم من دخل المجامع العلمية عضوا بها .

الحادي عشر : تتلمذ كثير من الطلاب المسلمين على أيدي المستشرقين سواء في داخل ديار الإسلام أو في خارجها ، فقد أَوْمَأْتُ آنفا إلى أن بعضهم درس في المدارس والجامعات في بلادنا ، وهؤلاء الذين درسوا لطلابنا كانوا ومايزالون ينطلقون في تدريسهم من

مبدأ أن ثقافتنا ليست أصيلة ، وليست جديرة بالحياة ، ولا صالحة للتطوير وملاءمة الزمان والمكان ، ففقهنا الإسلامي كما ينظر الاستشراق مستمد من القانون الروماني والأعراف الجاهلية ، وآدابنا يغلب عليها طابع الهجاء والاستجداء ، وتفتقر إلى التعبير الصادق عن المشاعر الإنسانية ولغتنا كلاسيكية لا تصلح للحياة العصرية ،

إنها لغة صعبة معقدة ، تضيق عن استيعاب العلوم والمخترعات ،

وتاريخنا ملفق مشوه يسوده الافتراء حتى فيما رُوى من أحاديث عن خاتم الرسل والأنبياء .

وأُوفد بعض هؤلاء الطلاب إلى الخارج للحصول على مؤهلات جامعية عليا كالماجستير والدكتوراه ، وكان المستشرقون ومنهم اليهود يشرفون عليهم ويوجهونهم في أبحاثهم ، وكانوا يفرضون عليهم الموضوعات ويأبون أن يدرس الطالب كما يريد ، وكانوا أيضا لايسمحون لأي طالب بالخروج على الآراء الاستشراقية ، بَلْه مهاجمتها أو مناقشتها مناقشة علمية تكشف عن زيفها وبطلانها «انظر الاستشراق والمستشرقون» للدكتور السباعي وترتب على هذا أن تبنت طائفة من المثقفين المسلمين آراء المستشرقين ، وأصبحوا حماة لها يذودون عنها ، ويدعون إليها ، وبخاصة في مجال التدريس الجامعي ، مما نجم عنه ما يمكن أن يُسمى بالاستشراق العربي ، وهو بلا مراء أفدح خطرا من الاستشراق الغربي .

الثاني عشر: عكف المستشرقون في هذه المرحلة على دراسة الإسلام والمسلمين قديما وحديثا، ولم يدعوا جانبا من جوانب تراثنا إلا وكتبوا فيه ونشروا عنه ، وهم إلى هذا أكثروا من ترجمة القرآن الكريم وبعض مجاميع السنة ، كما أنهم أعدوا الفهارس المتنوعة للمصدر الأول والثاني للتشريع في الإسلام ، وأصدروا الموسوعات الخاصة بتاريخنا وعلومنا ، وحاولوا حصر ماخلفه السلف من آثار مبعثرة في شتى المكتبات في كل دول العالم تقريبا .

وقد بلغ ماكُتب عن الشرق ـ وكان للإسلام منه الحظ الأوفر ـ نحو ستين ألف كتاب ، فضلا عن البحوث والمقالات التي نُشرت في الدوريات الاستشراقية وغيرها من الصحف والمجلات .

الثالث عشر : وكل هذه الكتب والمقالات تدخل في نطاق مايُسمى بالاستشراق الظاهر ، أو الذي يعلن عن نفسه بصورة مباشرة ، وذلك لأن

هذه المرحلة عرفت أيضا الاستشراق الكامن ، أو الذي يتوارى في غضون الكتب التي أُلفت في الأدب والعلوم ، ففي القصة الغربية أو أدب الرحلات كان يصور الشرق على نحو خيالي خرافي يظهره بأنه ليس جديرا بالحياة الحرة ، وأن الغرب ينبغي أن يستحوذ عليه ويقوده .

أما الدراسات الفلسفية والاجتماعية والقانونية والعلمية كالطبيعة والفلك فإنها كانت تحرص على وضع الشرق والشرقيين في إطار التخلف ، وأنهم دون الغرب قدرة على الابتكار العلمي والتطور الحضاري ، ومن ثم كان على أهل أوربا أن يبسطوا سلطانهم على هؤلاء المتخلفين .

الرابع عشر : وكل ماأسلفته عن أهم خصائص أخطر مراحل الفكر الاستشراقي ، يشهد على أن هذا الفكر كان من ورائه قوى متعددة توجه سياسته وتغدق عليه ، وقد نجح الفكر الاستشراقي في تلك المرحلة في غزو العقول ، وبلبلة الأفكار ، وتقديم الدراسات التي تناولت كل جوانب ثقافتنا ، وأراد لنا أن ندرس تراثنا من منظور الفكر الكنسي ، وكأن الشعور الغربي بالفوقية وأن الشرقي ولاسيما المسلم دونه فهما وعلما وحضارة أوحى إلى المستشرق بأنه أخلق من الشرقي من حيث دراسة تراثه وتقديمه له ، فكانت تلك الأبحاث المختلفة التي لم تغادر قضية من قضايا الفكر الإسلامي إلا وعرضت لها وقالت كلمة فيها .

الخامس عشر : لم تتغير في هذه المرحلة مفاهيم الفكر الاستشراقي التي كان يؤمن بها من قبل ، وظلت المنطلقات الأساسية لهذا الفكر كما هي ، بل زادت حدة واسرافا في التشويه والتضليل ، فالإسلام لدى جمهور المستشرقين دين بشري ، ومحمد ليس نبيا مرسلا ، والمسلمون برابرة متوحشون ، وليس لهم دور إبداعي في التاريخ الحضاري ، وعودتهم إلى الاعتصام بدينهم ، وجمع كلمتهم ، ووحدة صفوفهم يعني عودة الهمجية التي تعوق التقدم ، وتهدد حرية العالم المسيحي ، ومصالح المعسكر الامبريالي ، فقد جاء في تقرير الوزير المستعمرات البريطاني الذي قدمه لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٣٨ مايلي :

«إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليس الامبراطورية وحدها ، بل فرنسا أيضا ، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة ، وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة (وانظر الاستشراق

للدكتور محمود زقزوق ص ٩٨) .

ويقول المستشرق شاخت : كانت حركة الجامعة الإسلامية هي الغول المرعب في ذلك العصر على نفس الطريقة وفي نفس الزمن اللذين انتشر الرعب فيهما من «الخطر الأصفر» فكانت كل ظاهرة مناهضة للامبريالية حتى ولو كان مبعثها مشاعر محلية خالصة تُعزى إلى تلك الحركة الإسلامية ، وكانت الكلمة نفسها توحي بالتطلع الإسلامي للسيطرة ، وبأيديولوجية عدوانية ، وبمؤامرة على نطاق عالمي ، وبفضل الصحافة والأدب الشعبيين وكتب الأطفال أخذت هذه النظرة تتسرب إلى عقول الجماهير الغفيرة من الأوربيين ، ولم تخل من تأثير على العلماء أنفسهم ، وخصوصا حين كانوا ينبرون لتقديم النصح إلى أولئك الذين كانوا يوجهون سياسة الحكومات الاستعمارية ..

أما أولئك العلماء الذين اهتموا كثيرا بالدراسات المعاصرة والذين كانت فكرة الجامعة الإسلامية تشغل اهتمامهم فإنهم في تحليلاتهم التي كانت تتصف بدرجات متفاوتة من الدقة كانوا يميلون لأن يروا فيها حركة رجعية (وانظر تراث الإسلام ، سلسلة عالم المعرفة ص ٨٥) .

السادس عشر : وكان ضعف العالم الإسلامي وخضوعه للاحتلال الغربي من العوامل التي ساعدت على تصوير الإسلام في صورة الدين الذي لايصلح للحياة ، وأن المسيحية بطبيعتها ملائمة للتقدم ، لأن المستشرقين استغلوا ضعف المسلمين وركود ريحهم ، وحكموا على دينهم من واقعهم ، ورجحوا المسيحية عليه لرجحان أهلها في التطور والتقدم ...

لقد صُورت المسيحية على أنها بطبيعتها ملائمة للتقدم ، وقُرن الإسلام بالركود الثقافي والتخلف ، وأصبح الهجوم على الإسلام على أشد مايكون ، وبُعثت حجج العصور الوسطى بعد أن أُضيفت إليها زخارف عصرية ، وصُورت الجماعات الدينية الإسلامية بصورة خاصة على أنها شبكة من التنظيمات الخطرة يغذيها حقد بربري على الحضارة (وانظر المصدر السابق ص ٨٤) .

لقد كرر الاستشراق نفس الأفكار السابقة وزاد على ذلك اتساع نشاطه ، وكثرة أعماله ، ودقة تخطيطه ، وتغلغله في حياة الشرق وتعاونه الوثيق مع الاستعمار والصهيونية ، ثم الاستعلاء ، والطغيان والبعد عن الدقة والموضوعية والأمانة العلمية .

ومن المستشرقين من مجد العرب والمسلمين ، وأشاد بما قدموا

للإنسانية من عطاء في شتى المجالات ، ولكن هؤلاء لايقلون خطرا وضررا عن أولئك الذين رددوا أباطيل الاستشراق في مرحلة مابعد الحروب الصليبية ، لأنهم كانوا يقومون بدور المخدر الذي يفقد المريض الشعور بآلام علته ، ويجعله يسبخ في لجج الماضي وذكرياته ، دون أن يقدم له الدواء الناجع لما يعاني منه ، ويحول دون نهضته وتقدمه ..

السابع عشر : وإذا كان هناك بعض المستشرقين الذين يمثلون الاستثناء في الموقف المضاد للإسلام وحضارته ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الشجاعة الأدبية ، ومنهم من ارتضى الإسلام دينا فإن صوت هؤلاء الذين احترموا عقولهم ، وصدقوا مع أنفسهم كان أشبه مايكون بالهمس وسط المكاء والتصدية أو الضجيج الهائل فلا يسمعه أحد ، وإذا سمعه لايأبه به أو يركن إليه ، لأن ماساد جو الاستشراق من غيوم الضلال والافتراء غطى على مثل تلك الهمسات ، وجعل عامة الناس لاتطمئن إليها ، بل ترى فيها مروقا من العقيدة الصحيحة إلى دين الإسلام الملفق ، ولهذا لم تستطع أن تقاوم تيار التشويه ، أو تُحدث ثغرة في الجدار السميك الذي أقامه الفكر الاستشراقي بين الإسلام وغير المسلمين .

وفضلا عن ذلك كان أصحاب هذا الصوت يلقون العنت والاضطهاد ، فهم قد تجاوزوا حدودا ماكان ينبغي عليهم ألا يتجاوزوها ، لقد كانوا يحاربون في أعمالهم وأرزاقهم ، ويُحال بينهم وبين نشر آرائهم ، ولذا كان بعضهم يلوذ بالصمت ، لكي لايموت جوعا ، ومنهم من كان يؤثر الرحيل عن بلده ، عله يجد في موطن آخر الحرية ، والحياة الآمنة المستقرة ..

الثامن عشر : كان رد الفعل للفكر الاستشراقي بين المثقفين المسلمين متفاوتا ، فكثير من هؤلاء المثقفين ، ولاسيما أولئك الذين طلبوا العلم في المدارس الرسمية أو الأجنبية ـ وما أكثر هذه المدارس في بلاد المسلمين ـ أو سافروا للدراسة على أيدي المستشرقين في بلادهم ـ هؤلاء بوجه عام رددوا الفكر الاستشراقي إما إيماناً به ، أو محاولة للظهور بمظهر التجديد والاجتهاد ومواكبة العصر في التفكير ومناهج البحث ، ولأنه أُتيح لهم أن يوجهوا الثقافة والتربية في أوطانهم فقد لقنوا ذلك الفكر بصورة مباشرة أو غير مباشرة الجيل الذي قاموا على تعليمه وتثقيفه مما نجم عنه غربة عامة المثقفين المسلمين عن دينهم ، واصبح انتماؤهم إليه او

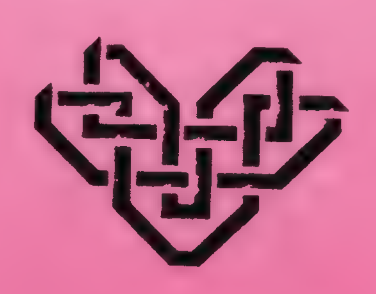
اعتناقهم له مجرد تقليد عاطفي لايحميه فكر يعي في دقة دعائم العقيدة التي يؤمن بها ..

ومن المثقفين المسلمين الذي قُدر لهم أن يتزودوا في مراحل تعليمهم بفكر إسلامي صحيح من نبه إلى خطر الاستشراق ، ووجوب التصدي له ، وتفنيد أباطيله ، ومنعه مما يريد بنا ، محذرا من عقدة «الخواجة» التي دفعت إلى التقليد الجاهل الذي لايفرق بين مايجب أن ننقله عن غيرنا ، وما لايجب أن ننقله أو نتأسى به فيه ...

لقد ظهرت بعض الدراسات التي ناقشت المستشرقين في بعض آرائهم ، كما صدرت دراسات أرخت للاستشراق وأعلامه وآثاره ، وهناك دراسات أخرى مجدت الفكر الاستشراقي ، ودعت إلى التعويل عليه في دراسة حضارتنا وفقه تاريخنا وأدبنا ، وهناك من رد على مثل هذه الدراسات التي تشيد بهذا الفكر ، وكشف عن مثالب الاستشراق وأخطاره ...

وكل هذه الدراسات على تنوعها تؤكد مدى تغلغل الفكر الاستشراقي في ثقافتنا ، وأنه شغلنا كثيرا بما لايجدينا ، وأنه في أحسن أحواله ليس فكرا منصفا ولا مستقيما ، وأنه استعمار فكري أو معنوي يمهد للاستعمار العسكري ويعزز سلطانه ..

وجملة القول أن الفكر الاستشراقي في تلك المرحلة التي ظلت نحو قرنين قد غزا العالم الإسلامي غزوا معنويا مدمرا ، كان أفدح ضررا من الغزو العسكري ، فقد كان لهذا الفكر التوجيه في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية ، حتى غدت الشخصية الإسلامية غريبة عن جوهر دينها ، ويكاد انتماؤها إليه يكون اسميا أوشكليا ، ومازال للفكر الاستشراقي تأثيره في حياتنا الثقافية حتى الآن ، وليس مايجري في واقعنا المعاصر من اختلافات حول كثير من قضايانا الدينية إلا بعض آثار وتأثير ذلك الفكر الذي لم يتوقف عن سعيه الحثيث لتحقيق غاياته في تنفير غير المسلمين من الإسلام ، وموت الإسلام في نفوس المسلمين !....



سجايا الرسول
صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / مصطفى عكرمة

كمالك زان الدهر.. فالدهر شاهد ... بأنك فيما خصك الله واحد

بعثت... فتمَّ الدين، واكتمل الهدى ... وأغفت بأيدي الكائنات المقاصد

تخيرك الرحمن من رحم الهدى ... فأنت بما أوتيت للخلق والد

وعفواً رسول الله إن قلت والد ... فعطفك عن عطف الأبوة زائد

لئن وسعت روح الأبوة طفلها ... فأنت وسعت الكون، والكون شاهد

وماذا يفيد القول ياخير مرسل ... ووحدك للأزمان هادٍ، وقائد!!

سجاياك لو بين الأنام توزعت ... لما كان محروم، ولا كان جاحد

سجاياك لا تحصى، وكل سجية ... بقيتِ بها فرداً، وفيها الفرائد

فأنت الذي سماك ربُّك أحمداً ... وسواك فرداً ماعدته المحامد

وأنت المرجَّى كلَّ آنٍ كماله ... وأنت بفضل الله في الفضل واحد

حريصٌ على خير الأنام، وهديهم ... رحيمٌ بمن قد عشت منهم تكابد

تساوى لديك الناس يامنقذ الورى ... فعشت لخير العالمين تجاهد

فلم يحرم الناؤون منك لنأيهم
ولا عن ذوي القربى ثنتك الأباعد

تذوب عليهم حسرةً، وتوجعاً
وتعفو، وكم منهم أتتك المكائد؟!

صبرت على حقدٍ تلظى سعيره
فمن بعضه كادت تذوب الجلامد

حلمت... وزادوا في أذاك تحدياً
وما كان منهم منصف، أو محايد

إذا جمع الحقد الدفين جموعهم
رجوت لهم مالا يرجيه والد

بذلت جميل العفو عن كل حاقدٍ
ومارق حتى من ذويك معاند

ولو شئت أن يفنوا لكان فناؤهم
ولو شئت أن يعنوا لما كان حاقد

تقول... فكل الحق فيما تقوله
وقد جمعت فيما تقول الفوائد

لسانك حقٌ ليس ينطق عن هوى
وفعلك للخيرات هادٍ، ورائد

تميزت في كل الأمور تميُّزاً
فكل الذي قد كان منك قواعد

فإنك ميزان الصلاح، فمن يفز
بتطبيق ما قد قلته فهو راشد

ومن زاغ عما قلته فهو هالك
ومن شك فيما قلته فهو فاسد

وأدنى انحراف عن هداك ضلالة
يذل بها مهما تقوّل عامد

أقمت على تقوى المهيمن أمة
تزيد ثباتا ما دهتها الشدائد

فكل فتى فيها لدى الليل ناسك
وكل فتى جيش لدى الحرب صامد

على عمر الأيام ماقلت خالد
وليس سوى ماقلت باق، وخالد

أوابد ماقد كان منك جديدة
تجدد عبر الدهر.. فهي الأوابد

فلله كم عاشت لنا منك حكمة
بها كل ذي عقل سليم يماجد!!

ولله كم سدنا بهديك والتقى
على منهج التقوى مسود، وسائد!!

فقولك والأفعال في الدهر عصمة
وهن على جيد الزمان قلائد

أطعنا هداك الحق، فالأرض جنة
ونحن بها الزراع، والكون حاصد

ونحن لأدواء الزمان دواؤها ... ونحن لمن عانى من الظلم ساعد
فكم ذا على الأهلين كان قضاؤنا ... وكم نال حقاً من أضلوا، وعاندوا؟!
إلينا انتهى علم الزمان وفضله ... وتشهد في إبداع قومي المساجد
تصدرت الدنيا مساجد أمتي ... فعالمنا منها... ومنها المجاهد
ومنها، وعنها كل قوم تعلموا ... فليس سواها للعلوم موارد
معالم شتى ماتزال شواهداً ... وهيهات ان تحصى لقومي الشواهد!
وواأسفي ماذا أقول بردةٍ ... تردى بها قومي... وزاد الملاحد؟!
بإلحاد طاغٍ يخسف الأرض ربُّها ... إلهي عفواً... إن عفوك زائد
إلهي إن الأرض يملؤها الأسى ... فلا الحق منصور... ولا العدل سائد
إلهي إن الحق قلَّ دعاته ... وليس لأهل الحق فينا مساعد
مساجدنا للهو صارت مسارحاً ... وصار بها للصائدين مصائد
وجفت أيا رب الموارد كلُّها ... وهيهات أن يلفى لدى النبع وارد!!
إلهي إن الملحدين تجمعوا ... علينا... وقومي يا إلهي تباعدوا
على حقنا لم نجتمع عمر لحظةٍ ... أياعجبي، والمبطلون تساندوا
تفرق قومي ألف حزب، وملة ... وشملهمو إن وحدوا الله واحد
فها هو أقصانا تحرق قلبه ... ولذت لنا وهو الأسير المراقد
رجوتك يا رباه نصراً لفتيةٍ ... بتلك الحصى أعتى العتاة تطارد
تصدت على ما كان من جبروته ... ولم تخش رغم الضعف ماهو حاشد
هم القلة الأقوى بعونك ربنا ... وأنت لهم بالنصر يارب واعد
ورد إلى التوحيد يارب أمتي ... فما بسوى التوحيد ترجى المقاصد
وصل... على من أنقذ الكون هديه ... وسلم... فما إلاّهُ هادٍ، وقائد



وإنـي لمشـتـاق إلى أرض غـزة
وإن خـانني بعد التفـرق كتماني
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق اجفاني

بهـذين البـيتـين أعلن الإمـام الشافعي رضي الله عنه عن شوقه إلى مدينة غزة التي ولد فيها عام (١٥٠هـ - ٧٦٧م) ثم خرج إلى الحجاز وتلقى العلم على يد الإمام مالك ثم زار العراق والشام ومصر.

• الاسم والتاريخ •

ما أن يعبر القادم إلى غزة حـاجز تفتيش «ايـريز» وهـو نقـطة العبـور الوحيدة التي تربط قطاع غزة بباقي مدن فلسطين المحتلة حتى يحس أنه دخل مدينة قديمة تحمل على كاهلهـا نوائب الزمان ويشعر بالأسى لما تعانيه هـذه المـديـنـة تحت وطأة الاحتـلال الاسرائيلي الذي أحكم قبضته عليها وأحـالهـا إلى سجن كبـير وأهمـل

مرافقها العامة فتحولت إلى بقايا أطلال، فغزة أو «عَزّه» ـ وهذا أصل اسمها الكنعاني ـ حملت هذا الاسم بسبب موقعها الجغرافي المتميز، أما عند العرب: فغزة بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه وبعده تاء التأنيث هي بلدة كنعانية عربية من أقدم مدن العالم. يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان «غز فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه» وهذا دليل على خصوصية موقعها.

وهي ذات تاريخ عريق فقد اكتشفت آثار في منطقة تل العجول على البحر المتوسط قريباً من غزة تعود إلى عصر البرونز أما موقعها الحالي فقد بناه الكنعانيون منذ ٣٠٠٠ ق.م وسكنتها شعوب سامية مثل بنو مدين والأدوميون والعموريون وكانت بمثابة المعبر الذي يصل آسيا بأفريقيا.. وأسس الفلسطينيون خمس مدن على الساحل ، هي عسقلان وأشدود وعاقر وغات وغزة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبذلك تكون مدينة فلسطينية منذ ذلك التاريخ. ثم خضعت للفرس وللاغريق والبطالسة والسلوقيين ولم تنقطع علاقاتها مع مصر.

هذا وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عهد الإغريق والرومان وصارت جامعة غزة تنافس جامعات أنطاكيا والاسكندرية



قطاع غزة / شريط ساحلي ضيق

وقيسارية المجاورة لها. كما كان ميناء غزة ـ ميمونيا ـ من أشهر موانيء شرقي البحر المتوسط. وقامت علاقات تجارية بين غزة والأنباط الذين فرضوا سيطرتهم على رقعة واسعة امتدت من دمشق حتى غزة.

● غزة في بؤرة الحياة الإسلامية

جاء الفتح الاسلامي لبلاد الشام



منظر عام ـ وسط مدينة غزة ـ ويبدو مسجد الشيخ شعبان مبني على الدور الثاني ومئذنة المسجد العمري الكبير.

وكانت غزة أول مدينة يفتحها المسلمون في فلسطين فقد التقت جيوش المسلمين والروم في قرية «دائن» من قرى غزة وهزم الروم وعاودوا الكرة وهزموا أيضاً ودخل «علقمة بن مجزر» أحد قادة عمرو بن العاص إلى مدينة غزة فرحب أهلها به، وزارها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمي أكبر مساجدها باسمه، كما ولد فيها الإمام الشافعي رضي الله عنه سنة ١٥٠هـ وفيها عاشت ابنته وماتت ودفنت هناك، ثم تبعت غزة الخلافة الأموية في دمشق والخلافة العباسية في بغداد ثم الدولة الطولونية والإخشيدية والفاطمية في مصر. وتعرضت للغزو الصليبي كغيرها من مدن وقرى فلسطين واحتلها «جودفري» في العام التالي لاحتلال بيت المقدس (١١٠٠م) وعادت للسيادة الاسلامية بعد معركة حطين (١١٨٧م)، وتعرضت للغزو المغولي وهزم المغول على ابوابها الجنوبية وقاد جيوش المسلمين قطز ، وبيبرس واستمرت تبعية غزة لدولة المماليك البرجية والبحرية في مصر ثم سيطرت عليها الدولة العثمانية بعد معركة «بيسان».

ازدهرت الأحوال الاقتصادية والثقافية في غزة بسبب الهدوء والاستقرار السياسي الذي دام طويلاً

وظهر علماء من غزة طارت شهرتهم إلى أنحاء العالم الاسلامي وزارها العديد من العلماء ووصفها الرحالة.. فهذا الشيخ مصطفى أسعد الدمياطي يدون مشاهداته عن غزة في كتابه «سوانح الانس برحلتي لوادي القدس» في اثناء زيارته لها عام ١١٤٣هـ ـ ١٧٣٠م فيقول:

«قصدنا غزة ـ فوافيناها ضحوة النهار، وقد فاح شذا نسيمها المعطاء، فأطلقت عنان الطرف في ناديها، وصلت بصولجان الفكر في واديها، فإذا هي بحبوحة جنان، وللحمائم بروض زهورها ألحان، فأسرعت إلى نحوها المسير وكدت من فرحتي إليها أطير».

سر بي إلى غزة الفيحاء إن بها
رياض زهر تحاكي جنة الخلد
مر النسيم عليها والصبا سحراً
يروي حديثاً لنا عن ساكني نجد

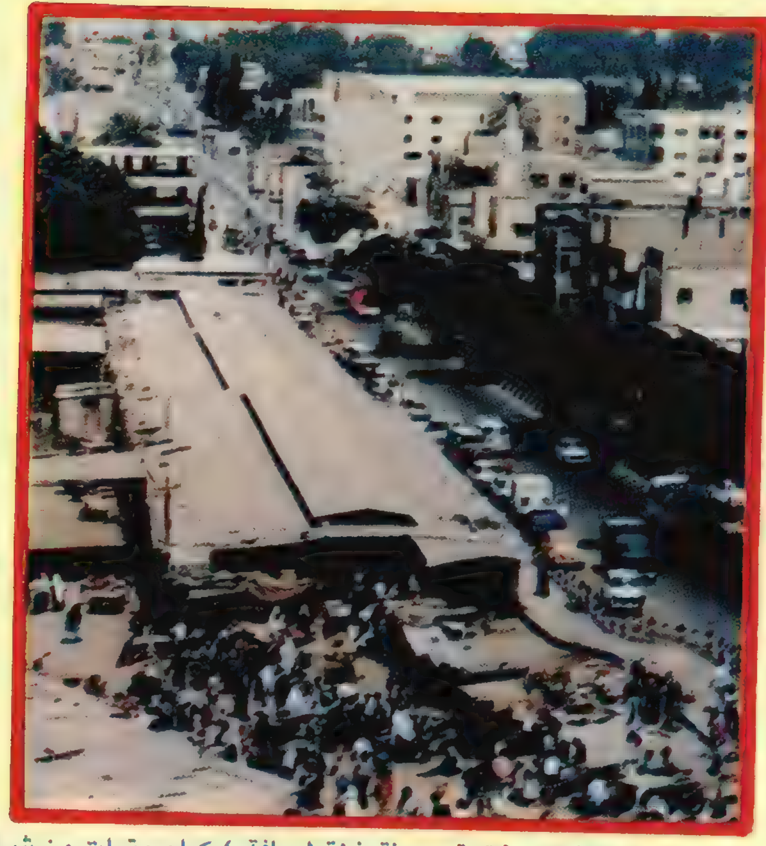
وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في زيارة لها:ـ

سقى الله غزة وابل السحب اننا
وجدنا بها ما لا بمصر وجلق
بدوراً وغزلاناً وماء وخضرة
وكثبان رمل عند بحر أزرق

● غزة الصامدة ●

من يزر «مقبرة الانجليز» في مدينة غزة ويعرف أنها تحوي جثث أكثر من خمسة آلاف جندي بريطاني يدرك الأهمية الاستراتيجية لهذه المدينة التي اعتبرها الحلفاء أهم المعابر من مصر إلى الشام في الحرب العالمية الأولى فقد هاجمها الانجليز أكثر من مرة وفشلوا أمام تحصينات الأتراك..

ثم تمكن اللورد «اللنبي» ومعه (١٠٠) ألف مقاتل من دخولها يوم ٧ نوفمبر ١٩١٧م ـ بعد خمسة أيام من صدور وعد بلفور ـ وبدأ فصل جديد في تاريخ هذه المدينة حين خضعت للحكم العسكري ثم للانتداب البريطاني وتبعت «اللواء الجنوبي» أحد ثلاثة الويه قسمت إليها فلسطين ويتكون كل لواء من مجموعة أقضية منها «قضاء



شارع عمر المختار يخترق مدينة غزة لمسافة ٤ كيلو مترات من شرقها الى غربها ـ وهذه منطقة «سوق فراس»



مسجد السيد هاشم / حيث يوجد قبر هاشم بن عبدمناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم.

غزة» ومركزه مدينة غزة وتتبعه ٥٣ قرية وناحية.

في هذه الحقبة بدأت المؤامرة الكبرى بزرع الكيان الصهيوني على أرض فلسطين وكان نصيب قضاء غزة مجموعة من المستوطنات حصنها اليهود والانجليز حتى وصل عددها إلى ١٨ مستوطنة ١٩٤٨م. وفي هذه السنة استكملت المؤامرة الصهيونية الصليبية حلقاتها على فلسطين فقد تزامن إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين والذي ساعد اليهود بالمال والسلاح مع إعلان قيام الكيان الصهيوني ودخلت جيوش الدول العربية ـ الأعضاء في جامعة الدول العربية حينذاك ـ لمساعدة إخوانهم في فلسطين.. وبالطبع كان الجيش المصري هو المؤهل لدخول غزة ـ لقربها من الحدود المصرية وعلاقاتها الوطيدة معها عبر التاريخ ـ وانتهت الحرب بنتائجها المعروفة وهي تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أجزاء ـ الاكبر منها قامت عليه دولة الغدر ـ والضفة الغربية لنهر الأردن أصبحت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية ـ وقطاع من جنوب غرب فلسطين لا تزيد مساحته عن ٢٠٠كم٢ أعطته مدينة غزة اسمها فعرف ب (قطاع غزة) شمل مدن غزة ودير البلح وخان يونس

ورفح ـ وقرى عبسان وبني سهيلا وخزاعة وجباليا وبيت لاهيا أضيفت إليها ١٠ معسكرات لإخوانهم الفلسطينيين الذين قدموا من مدن وقرى استولى عليها اليهود فبلغ عدد سكان القطاع في تلك السنة (٤٠٠) ألف نسمة زادوا عن النصف مليون عام ١٩٧٦م. تولت مصر إدارة المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية بفلسطين ـ قطاع غزة ـ ثم أصبح هناك حاكم إداري عام للقطاع سنة ١٩٥٤م، بعد قيام الثورة المصرية. وان كانت هناك أياد بيضاء كثيرة لمصر على قطاع غزة منها الإبقاء على الهوية الفلسطينية إلا أن أجلها جميعاً فتح الجامعات المصرية أمام أبناء القطاع ومعاملتهم كالمصريين تماماً فانتشر التعليم العالي بين أبناء القطاع وهذا وفر لهم فرص العمل الشريف في كل الدول العربية والخليجية خاصة .

● يوم ـ ٧ مارس ١٩٥٧م ـ عيد قومي في غزة ●

في أثناء العدوان الثلاثي على مصر كانت الفرصة سانحة أمام إسرائيل لتحتل قطاع غزة الذي كان مركزاً للعمليات الفدائية ضدها ـ فاحتلته بعد عمليات حربية كبدتها العديد من القتلى والخسائر واستمر احتلالها للقطاع من ٢/١١/١٩٥٦م حتى ٧/٣/١٩٥٧م وبعد ضغوط دولية



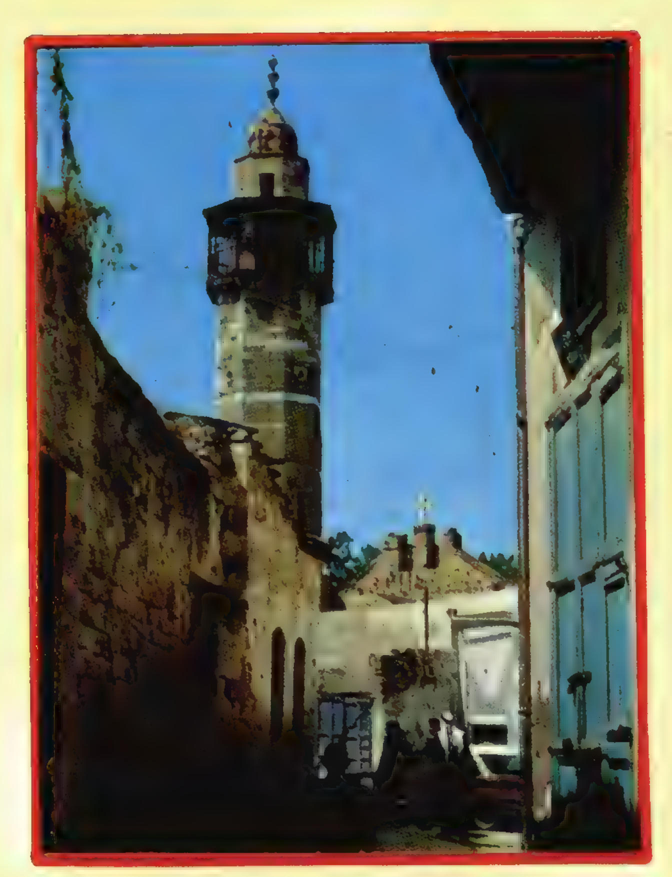
المعهد الديني ـ الأزهر ـ بغزة تحول إلى الجامعة الاسلامية بغزة ـ اغلقتها سلطات الاحتلال لأنها من مراكز المقاومة.

عليها بالانسحاب تشكلت قوات دولية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة لتشرف على هذا الانسحاب. وقد اعتبر يوم ٧ مارس عيداً قومياً احتفل فيه الغزيون أسبوعاً كاملاً حتى يوم ١٤ مارس وهو يوم عودة الإدارة المصرية إلى القطاع كما طالبت بذلك جماهير غزة. وقد عانت غزة من الاحتلال خلال هذه الفترة فقد كشفت سيول الأمطار عام ١٩٥٨م عن مقابر جماعية لأبناء القطاع في غزة وخان يونس ورفح - وقد كان أهالي القتلى يظنون أن أولادهم ما زالوا أسرى لدى إسرائيل، إضافة إلى القتل الجماعي فقد أغاروا عليها قبل ذلك وضربوها بقذائف المدافع وسمموا مواشيها وحرقوا زروعها.. إلخ وبعد الانسحاب أناب الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر «أنور السادات» رئيس مجلس الأمة آنذاك لافتتاح أول مجلس تشريعي في غزة.

كانت الأعوام العشرة من ١٩٥٧ ١٩٦٧م أعوام ازدهار اقتصادي وتقدم عمراني وثقافي حتى حلت النكبة الكبرى سنة ١٩٦٧م فقاست غزة ماقاسته بقية المدن المحتلة

• غزة بوابة فلسطين •

إذا كان لغزة خمس بوابات فإن غزة نفسها هي بوابة فلسطين



مئذنة الجامع العمري الكبير - تم تجديدها مرات عديدة بعد تعرضها للدمار.

الجنوبية وهمزة الوصل بين جناحي الوطن العربي، لقد عرفت غزة ملوكاً وحكاماً وقادة عسكريين وفاتحين لم تعرفها مدينة أخرى فعلى سبيل المثال مرّ عليها تحتمس الثالث (١٤٦٨ق.م) وتفلات بيلاسر الثالث الأشوري - ٧٣٤ق.م - وقمبيز الفارسي (٥٢٥ق.م) والاسكندر الأكبر المقدوني (٣٣٢ق.م) - وبطليموس (٣١٢ق.م) - وعمر بن الخطاب وعمرو ابن العاص، وعبد الملك بن مروان، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي (١١٨٨م) وقطز، وبيبرس مرتين (١٢٤٤م،١٢٦٠م) والناصر قلاوون (١٣٢٩م)- قنصوه الغوري، سنان باشا ، السلطان سليم الأول

(١٥١٧م) نابليون بونابرت (٢٨/٢/١٧٩٩م) ومكث فيها أربعة أيام في أثناء زحفه على عكا، وإبراهيم باشا، اللورد اللنبي ١٩١٧م، وفي الحقبة الأخيرة اللواء محمد نجيب ١٩٥٣م أول رئيس لجمهورية مصر، وجمال عبد الناصر، وجواهر لال نهرو، وداج همرشولد سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٥٧م، وأنور السادات، وجيمي كارتر بعد خروجه من البيت الأبيض.. وغيرهم .

تبعد مدينة غزة القديمة ثلاثة كيلو مترات عن ساحل البحر وترتفع ٢٧ متراً فوق سطحه وتشكل نهاية السهل الساحلي لفلسطين من جهة الجنوب واشتهرت منذ القدم بزراعة الحبوب والفواكه وازدهرت فيها زراعة الحمضيات في أواخر عهد الانتداب البريطاني وعهد الإدارة المصرية حتى أصبحت الحمضيات عصب الاقتصاد لقطاع غزة.

أما التركيب الجيولوجي لصخور قطاع غزة فقد أتاح له أن يكون مستودعاً للمياه الجوفية التي تتوفر فيها بكميات كبيرة وتعوض قلة كمية الأمطار التي لا تزيد عن ١٠ بوصات سنوياً تسقط كلها في فصل الشتاء فاعتمد السكان على المياه الجوفية يشربون منها ويروون منها زراعاتهم ففي مدينة غزة أكثر من عشرة آبار للمياه الجوفية للشرب بجوار كل منها خزانات كبيرة تخزن للاستعمال



المقر الحالي «لبلدية غزة» وكان في الأصل مستشفى ويشرف على أكبر مقابر المدينة ـ «الشيخ شعبان».

اليومي ـ أما المزارع فقد أطلق عليها اسم «بيارات» لأنها تروى من الآبار وكل إقطاعي يملك «بيارة» وهي مساحة من الأرض فيها «بئر» يحيط بقطاع غزة ٨٠٠٠٠ دونم مزروعة حمضيات و ٢٠٠٠٠ دونم مزروعة فواكه وخضاراً.

• أحياء غزة وضواحيها •

كان لمدينة غزة القديمة سور يحيط بها من ثلاث جهات له عدة بوابات تصلها بباقي مدن فلسطين ومن أشهر هذه البوابات «باب عسقلان» من الجهة الشمالية و«باب الخليل» من الجهة الشرقية و«باب المنطار» من الجهة الجنوبية الشرقية و«باب الداروم» من الجهة الجنوبية باتجاه مصر و«باب البحر» أو الميناء من الجهة الغربية أما أحياء غزة فأهمها :ـ

١ ـ حي الزيتون : أكبرها ـ في الجهة الجنوبية من المدينة ـ أشهر معالمه ـ «مسجد كاتب الولاية» الذي بناه أحمد بك كاتب الولاية العثماني سنة ٩٩٥هـ في عهد السلطان مراد الثالث ، وتقع بجواره كنيسة الروم الأرثوذكس وكذلك «دير اللاتين» .

٢ ـ حي الدرج : في الجهة الشمالية ويرتفع عن باقي الأحياء ... وأشهر معالم هذا الحي «جامع السيد هاشم»



ـ ميدان فلسطين ـ اكبر ميادين المدينة يتوسط الأحياء القديمة ويصلها بالحي الجديد ـ الرمال ـ ويسميه العامة «ساحة التاكسيات» حيث تنتشر منه شبكة مواصلات إلى ضواحي المدينة.



المجلس التشريعي لمدينة غزة تحول الى مقر قيادة الحاكم العسكري لسلطات الاحتلال ويظهر برج المراقبة فوق المبنى

وفيه قبر هاشم بن عبد مناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ حي التفاح : في الجهة الشمالية الشرقية ـ وفيه «جامع ابن مروان» وهو فقيه مغربي صالح سكن هناك ، تحيط به مقبرة كبيرة تتوسط المدينة القديمة ، وجامع عبدالله الأيبكي المملوكي والذي حرف إلى ـ جامع الشيخ نبك .

٤ ـ حي بني عامر : ملاصق لحي التفاح وسكانه الأوائل عرب من شبه الجزيرة العربية ينتسبون إلى عامر بن لؤى .

٥ ـ حي الشجاعية : في الجهة الشرقية أُطلق عليه هذا الاسم تكريماً «لشجاع الدين عثمان الكردي» أحد قادة صلاح الدين الذي استشهد في غزة ودفن فيها في أثناء حروبه مع الصليبيين ومن معالم الحي «جامع ابن عثمان» بُني في عهد المماليك الشراكسة سنة ٨٤٩ هـ كما تدل الكتابات المنقوشة على جدرانه .

٦ ـ حي التركمان : مكمل لحي الشجاعية سُمي كذلك لأن الملك الصالح (٦٣٧) هـ أنزل به قبائل تركمانية أعطته اسمها .

ومعظم بيوت هذه الأحياء القديمة عبارة عن دور صغيرة من الحجر الرملي الصخري متلاصقة بعضها ببعض يفصل بين كل مجموعة وأخرى شارع ضيق يُقال له زقاق واصبح هذا الطراز من البنيان غير ملائم للسكنى

صحياً وتنظيمياً .

يفصل أحياء المدينة القديمة عن بعضها - قصبة المدينة أو مركز المدينة - التي يتوسطها المسجد العمري الكبير الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح المسلمين لغزة . دُمِّر هذا المسجد أكثر من مرة وأُعيد إعماره من قِبل عدد من الملوك والوزراء والمصلحين تشهد بذلك الكتابات المنقوشة على أبوابه وجدرانه . وحول المسجد العمري تركزت أسواق المدينة - سوق الخضار والفواكه - سوق الحبوب «الغلة» ، خان الزيت ، سوق العطارين ، سوق السراجين ويسميه العامة «سوق السروجية» والقيصرية الملاصقة للمسجد وفيها محلات بيع الذهب والحلي .

أما قصر «الدبويا» وهو من معالم غزة الشهيرة فقد بناه حسين باشا بن أحمد آل رضوان سنة (١٥١٠م) (٩٣١هـ) وهو أحد الحكام العثمانيين لغزة في عهد السلطان سليم الأول العثماني - نزل في هذا القصر العديد من الملوك والقادة فيما بعد ، وتشغله حاليا «مدرسة الزهراء الثانوية للبنات» .

أما القسم الجديد من المدينة فيطلق عليه اسم «غزة الجديدة» أو حي الرمال لأنه أقيم فوق كثبان الرمال التي كانت تفصل بين مدينة غزة والبحر المتوسط غرباً فاتصلت المدينة بشاطىء البحر وقد شرع في تقسيم هذه الكثبان إلى قسائم بناء للمواطنين «دونمات» مساحة كل دونم ١٠٠٠متر٢ منذ عام ١٩٣٤م ويضم هذا الحي أحدث الفلل السكنية حالياً ، ويصل بين غزة القديمة وغزة الجديدة حي آخر يُعرف باسم «الصبرة» الذي كانت تكثر به أشجار الصبار «التين الشوكي» حين كان يمثل الحد الغربي للمدينة .

أشهر معالم حي الرمال عمارة «تيجارت» التي بُنيت في عهد الانتداب البريطاني وأصبحت مقراً للإدارات الحكومية وعُرفت باسم «سراي الحكومة» وفيها أيضاً سجن المدينة . والمجلس التشريعي الذي افتتح عام ١٩٥٨م ، والمركز الثقافي الإسلامي العربي الذي افتتح حديثاً .

عرفت مدينة غزة الخدمات البلدية بعد صدور قانون الولايات العثماني الخاص بالمجالس البلدية عام (١٨٧٧م) وتشكل فيها أول مجلس بلدي وكان التشكيل يتم بالتعيين من قِبل السلطات المحلية العثمانية والبريطانية والمصرية والمرة الوحيدة التي أُجريت فيها انتخابات للمجالس البلدية كانت ١٩٤٦م وكان اختيار الأعضاء من وجهاء المدينة الذين يمثلون عائلات إقطاعية متنفذة وبعض المتعلمين .



شارع عمر المختار ـ الشارع الرئيسي لمدينة غزة يفصل الأحياء القديمة عن بعضها . كان مركزاً تجارياً معموراً قبل الاحتلال.

● ثلاث قضايا ومصير ●

إذا كان موقع غزة الجغرافي جعلها «بوابة بلاد الشام الجنوبية» فإن قدرها أن تتصدى لليهود على مر العصور .. فحين أقام اليهود كيانهم الأول سنة ١٠٠٤ ق . م على بعض أجزاء فلسطين بقيت غزة خارج نفوذهم وحدود دولتهم وقاومتهم مقاومة عنيفة لذلك اختصوها بالحقد والسباب في كتبهم ومزاميرهم «وأنت ياغزة محرومة من رحمة الرب» وكان ملوك إسرائيل يرسلون من يريدون التخلص منه من اليهود ـ لأسباب عديدة ـ للقتال عند أسوار غزة حتى يموت هناك .

وجاء حزيران سنة ١٩٦٧م ليضيف صفحة جديدة من صفحات مقاومة الاحتلال ... فقد تصدى الأهالي للسلطات الإسرائيلية ساعدهم على ذلك الأسلحة التي تركها جيش التحرير الفلسطيني بعد سقوط غزة ... كانت شوارع المدينة ومعسكراتها تحت سيطرة رجال المقاومة ليلاً يخشى جيش العدو دخولها .... زارها وزير حرب العدو «موشى ديان» عدة مرات وعيّن «أرييل شارون» الصهيوني المتعصب قائداً



في هذا المكان ولد الامام الشافعي رضي الله عنه سنة ١٥٠ هـ بمدينة غزة تحول إلى «دار تحفيظ القرآن» تشرف عليه ادارة الأوقاف في المدينة

عسكرياً على القطاع بهدف تصفية حركة المقاومة فيه ، حوصرت غزة حصاراً قوياً حتى يُمنع وصول المدد من الخارج وبالذات من جهة البحر ولازال حتى الآن يُمنع على الأهالي التواجد على شاطىء البحر بعد مغيب الشمس لتبدأ دوريات مكثفة تجوب الساحل وتمشط أي أثر للفدائيين فيه .

على المستوى الرسمي : كانت أول مواجهة بين سلطات الاحتلال والمجلس البلدي المعين من قِبل الإدارة المصرية فيما عُرف بقضية «كهربة القطاع» حيث أقدمت سلطات الاحتلال على ربط التيار الكهربائي في قطاع غزة بشركة الكهرباء الإسرائيلية ـ ولا تخفى الدوافع من وراء ذلك وهي إتمام السيطرة على القطاع والتحكم في أسعار الكهرباء وإبتزاز السكان ... فتصدى المجلس المكون من السادة/ راغب العلمي ، سامي الحسيني ، رأفت البورنو ، محمد علي أبوشعبان ، داود الصايغ ، عوني أبورمضان ، راغب مرتجى ، الدكتور مصطفى عبدالشافي" ، هاشم الشوا ، وجمال الصوراني للسلطات وتمت إقالته في يوليو سنة ١٩٧٠م .

أما «قضية معسكر الشاطىء» فقد ظهرت حين رفض المجلس المعين من

قِبل سلطات الاحتلال ـ والمكون من السادة/ رشاد الشوا ، موسى أبوشعبان ، فائق خيال ، رفيق بسيسو ، فايز أبورحمه ، خليل ظريفة ، صلاح الشوا ، صالح سكيك ، عبداللطيف الغصين ، وحاتم أبوغزاله ، ومحمد أبو حصيره ـ ربط الخدمات البلدية بمعسكر الشاطىء الذي يضم ٣٦١١٤ نسمة حسب إحصاء سنة ١٩٨١م ببلدية غزة حيث بدا واضحاً أن السلطات كانت تهدف إلى تذويب مشكلة اللاجئين فقد سمحت لهم بالبناء في المعسكر واشترطت عليهم الغاء علاقتهم بوكالة غوث اللاجئين .... وأقيل هذا المجلس أيضاً سنة ١٩٧٣م ، وتشكل مجلس آخر بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٥م .

واجه المجلس الجديد القضية الثالثة ... وهي استيلاء سلطات الاحتلال على مصادر المياه ـ فمدينة غزة تستهلك من مياه الشرب كمية تتراوح بين ٥ ،٦ ملايين متر مكعب سنوياً ... أو حوالي ١٥ أو ١٦ ألف متر مكعب يومياً ... وتبلغ نسبة الاستهلاك العام حالياً ٣٧ متراً مكعباً من المياه لكل فرد في السنة .

يتم الحصول على هذه المياه من آبار بلغ عددها ١٣ بئراً ، هذا غير الآبار الارتوازية التي حفرت في المزارع ـ البيارات ـ لري الأراضي الزراعية ، ولما كان الحصول على مصادر المياه أهم مشكلات اسرائيل



قصر آل رضوان ـ من حكام آل عثمان في غزة ـ ومن معالم غزة الشهيرة تشغله الآن «مدرسة الزهراء الثانوية للبنات».



مسجد «كاتب الولايات» في حي الزيتون

الحيوية منذ قيامها ... وجدت فرصتها للسيطرة على هذه المصادر وتحويلها إلى مستوطناتها في القطاع وداخل إسرائيل فحددت كمية المياه المستهلكة وفرضت على أصحاب البيارات تركيب عدادات ودفع ثمن المياه التي تروي الأراضي مع تخصيص أوقات محددة للري ... وأقيل آخر مجلس معين من قِبلها في مايو سنة ١٩٨٥م .

• الأرقام تتكلم •

إن قطاع غزة الذي يُعتبر من أعلى المناطق في العالم كثافة سكانية ـ حيث يتركز أكثر من (٧٥٠) ألف نسمة في منطقة لا تزيد عن ٢٠٠ كم[٢] تطمع إسرائيل وتخطط للاستيلاء على أراضيه بدأ ذلك عام ١٩٦٨م ببناء مستوطنة واحدة زادت إلى ١٤ مستوطنة عام ١٩٨٤م ثم وصلت إلى ١٨ مستوطنة عام ١٩٨٩م واستولت بذلك على أكثر من ٢٥,٠٠٠ دونم من أراضي القطاع .

منعت إسرائيل اتصال عرب غزة بإخوانهم في الخارج وتمنع وصول أي عون مادي ومعنوي لهم إلا القليل منه . لذا شكل الأهالي هناك جمعيات وهيئات واتحادات بعضها ذات طابع إنساني وبعضها ثقافي واجتماعي للصمود في وجه الاحتلال ومن أبرز هذه الهيئات :ـ

● الهيئة الخيرية لمساعدة أبناء القطاع تأسست عام ١٩٧٤م ومن أهدافها إفساح المجال أمام طلبة المدارس من حملة الثانوية العامة الذين لم يتمكنوا من إتمام دراساتهم العالية إلا في البلاد العربية والأجنبية ليسافروا عن طريق الجسور إلى عمان وتنظيم عمليات السفر والعودة لأهلهم بإصدار تصاريح خاصة بهم ، وافتتحت مكتباً لتصدير الحمضيات يشرف على تصدير وتنظيم بيع الحمضيات التي تعتبر أهم مورد لاقتصاد غزة ثم اتسع نشاط هذا

المكتب ليشمل تسويق منتجات أخرى كالبلح والجوافة والفراولة والأسماك وغيرها ...

ترأس هذه الجمعية الحاج رشاد الشوا ومن بعده ابنه منصور، وتحصل الهيئة الخيرية على الأموال عن طريق التأمينات التي يدفعها الأهالي المغادرون للقطاع بصفة مؤقتة ويستعيدونها بعد عودتهم ومن بعض الرسوم الأخرى والتبرعات.

● جمعية الهلال الأحمر بقطاع غزة - ١٩٧٢م - ذات أهداف إنسانية تقدم خدمات صحية وطبية واجتماعية. قامت بإنشاء مستوصف عام في غزة ومركز للإسعافات الأولية وصيدلية ومختبر ومكتبة عامة صغيرة في مقر الجمعية ويرأس هذه الجمعية الدكتور حيدر عبد الشافي وهو من رموز مقاومة الاحتلال داخل الأراضي المحتلة.

● جمعية أصدقاء المريض (١٩٧٦م): أقامت مستوصفاً في حي الرمال يعالج مجاناً ويقدم الدواء كذلك، يتناوب العمل فيه أطباء يتبرعون للعمل فيه مجاناً في غير أوقات



مسجد صلاح الدين الايوبي - في منطقة «العواميد» - ينادي - أين أنت يا صلاح الدين؟؟

عملهم وقد قدمت الكويت خدمات لاتنسى لهذه الجمعية ـ مالية وعينية ـ منها التبرع ببناء مستشفى لم تسمح سلطات الاحتلال بإدخال مخصصاته حتى الآن .

● وهناك جمعيات ونقابات أخرى منها : مجلس أمناء الجامعة الإسلامية بغزة وجمعية بنك الدم (١٩٧١م) ومعهد الأمل لإيواء الأيتام ، وجمعية الاتحاد النسائي الفلسطينية (١٩٦٤م) ، واتحاد الكنائس بغزة ، والجمعية الطبية العربية وجمعية المهندسين ، ونقابة المحامين .

وتلتقي هذه الجمعيات في هدفها الأول وهو التخلص من الاحتلال الاستيطاني الصهيوني .

وهل نضيف جديداً إن قلنا إن الشرارة الأولى ـ أو الحجر الأول قد انطلق من معقل الأحرار معسكر جباليا بقطاع غزة ؟ وإن غزة كسائر الجسد الفلسطيني قد شاركت في استرجاع الحق والدفاع عن الوطن ومازالت تدفع الثمن اللائق بهذا الوطن ففي السنة الأولى للانتفاضة استشهد ١٣٦ مواطناً من قطاع غزة منهم ٢٦ من مدينة غزة والباقون موزعون على مدن وقرى ومعسكرات القطاع ، و١٣٥ شهيداً خلال العام الثاني منهم ٣١ من غزة نفسها ،



ضاحية الرمال في غزة / قسائم سكنية حديثة تتخللها بساتين وحدائق وأشجار للفاكهة.

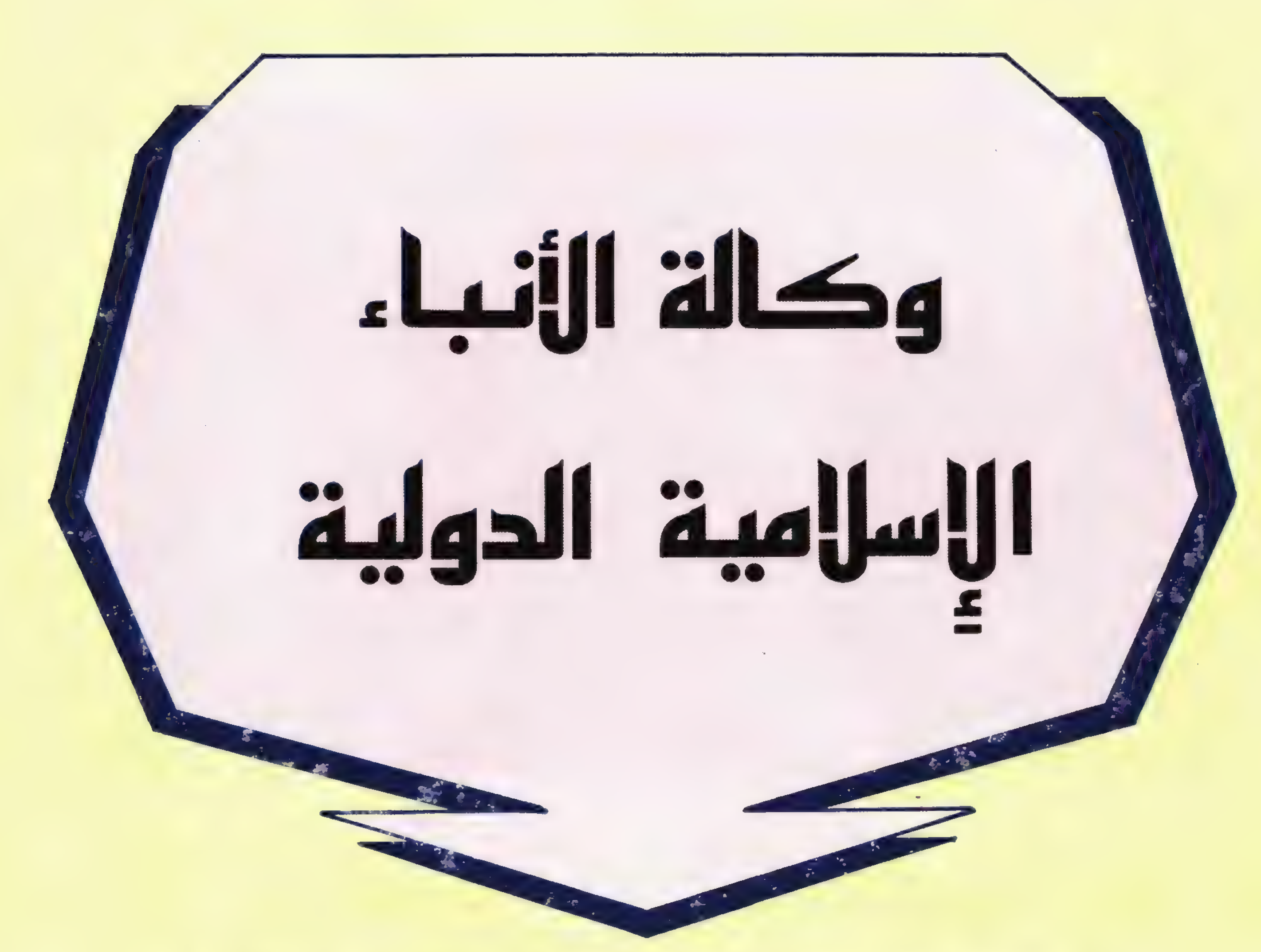


آخر مجلس بلدي تم تشكيله في مدينة غزة بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٥م

وسجلت خلال العام الأول ٢٢١٠٤ اصابات بالأعيرة النارية والمعدنية والمطاطية والضرب واستنشاق الغاز المسيل للدموع . وفي العام الثاني ١١٢٥٩ إصابات غير ٦٢٧ حالة إجهاض للحوامل نال مدينة غزة منها ١٨٨ حالة، كما تفننت سلطات الاحتلال في وسائل القمع والقهر مثل الهدم الكلي أو الجزئي لمساكن ثوار الانتفاضة والإغلاق القهري للمحال التجارية . أما أيام حظر التجول فقد خصت سلطات الاحتلال مدينة غزة بـ ١٩٤ يوماً خلال السنتين الماضيتين ، شهدت على هذه الاحصائيات ـ وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، وسجلات مستشفيات القطاع ، ومراكز حقوق الإنسان ولجان التحقيق الزائرة للقطاع . هذا طبعاً غير الآلاف من المعتقلين في معسكرات اعتقال تفتقر إلى أدنى متطلبات الحياة الإنسانية وغير المئات من قادة الانتفاضة الذين أبعدوا عن ديارهم دون وجه حق .

وإذا كنا بدأنا حديثنا عن غزة بشوق الإمام الشافعي إليها ـ فهذا ابن غزة الشاعر أكرم عرفات يناجيها في غربته فيقول :ـ

صفحاً يا غزة يا بلدي
يا حبي الخالد للأبد
صفحاً إن مت وما اكتحلت
عيناي بنورك يا غزة
يا رمز القوة والعزة
يا شمساً لم تغرب أبداً
يا سيفاً سلّ وما غمدا
يا رأساً مرفوعاً دوماً



إن «الوعي الإسلامي» لتعرف للوكالة فضلها، ونشاطها في بث الأخبار والمعلومات ذات الطابع الاسلامي والاقتصادي والتنموي عن الدول الاسلامية، بل ونشر أخبار عالمية تهم الصحافة الإسلامية معرفتها، ولقد استفدنا في «الوعي الاسلامي» كثيراً من النشرات التي ترسلها إلينا الوكالة.. التي نرجو لها التقدم والمزيد من التوفيق.. ونحيي كل القائمين عليها.. داعين الله أن يتقبل جهودهم ويثيبهم خيراً..

ومما هو جدير بالذكر أن «وكالة الأنباء الاسلامية الدولية» أحدث المنظمات المتفرعة عن منظمة المؤتمر الاسلامي ومقرها بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.

سياسة الوكالة الإعلامية:

انتهجت الوكالة سياسة اعلامية اخبارية متخصصة تقوم بالاهتمام بالشئون الاسلامية والتعريف بالتنمية الحضارية والثقافية والعلمية والاقتصادية والصناعية في الدول الأعضاء.



إنجازات الوكالة:

حققت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية في العام الهجري ١٤١٠هـ انجازات طيبة ونجاحات سارة واستطاعت ان تربط القارىء وتجذب انظار الصحف والمجلات إليها مما دفع العديد من الصحف والمجلات الى مراسلة الوكالة للحصول على اخبارها والنشرة اليومية التي تبثها وحققت اخبار الوكالة انتشارا واسعا في الصحف والمجلات ووكالات الأنباء في مختلف أنحاء العالم.

* ومن أهم إنجازات الوكالة البث الإخباري باللغة الفرنسية وذلك عن طريق خطوط التلكس المباشر يوميا لعدة دول ـ اسلامية في افريقيا، بعد مساعدة حكومة النيجر بارسال صحفي متخصص باشر مع زملائه عملية اعداد وبث النشرة الفرنسية مع زميل آخر من غينيا.

* كما عرفت الجولات الصحفية التي قام بها بعض محرري الوكالة بمشاريع التنمية والتطور في الدول الاسلامية.

وشملت هذه الجولات اكثر من ١٥ دولة إسلامية، وستشمل الجولات الصحافية بقية الدول الأعضاء، وكذلك زيارة الأقليات الإسلامية ومناطق تواجد المسلمين والمراكز

الاسلامية في أوروبا الشرقية ودول العالم الأخرى لتسليط الضوء والتعريف بشئون المسلمين في هذه المناطق.

* للوكالة دور فعال في متابعة أخبار العالم وخصوصاً الأقليات الإسلامية وأصبحت مصدراً يرجع إليه الباحثون في هذا المجال ولسنا ننسى جهد الوكالة في التعريف والدفاع عن قضية الأقلية المسلمة في بلغاريا والمحنة التي مرت بها بالإضافة إلى قضية كشمير، ومسلمي الفلبين، واليونان، وأمريكا، وأوروبا والكشف عن الخطط التنصيرية في بعض مناطق العالم الاسلامي والكتب التي تحاول النيل من الإسلام والمسلمين والتحذير منها وتفنيدها والتصدي لكل الحملات التي تحاول النيل من الاسلام والمسلمين.

والقضية الفلسطينية كان لها اهتمام كبير من خلال الاخبار والتقارير التي تنشرها الوكالة كالتعريف بدور الانتفاضة وتعرية المخططات والممارسات التي يقوم بها الصهاينة في الأراضي العربية المحتلة، وكذلك ساهمت الوكالة في التنبيه الى مخاطر الهجرة اليهودية الأخيرة وحذرت منها من خلال تقارير صحفية وبيانات وردت للوكالة من عدد من المؤسسات ذات العلاقة بالموضوع.

من أجل توسيع نشاطها:

قامت الوكالة بتعيين مراسلين في العديد من الدول الاسلامية والبلدان التي تتواجد بها اقليات إسلامية في نيويورك وبنجلاديش والسنغال والمغرب والبرازيل والعراق وجنوب افريقيا وماليزيا، ويجري الاعداد لتعيين عدد آخر في بعض المناطق الاخرى.

من مآثر الوكالة :

تقوم وكالات الأنباء ومحطات الاذاعة والتلفزيون في الدول الاسلامية والوكالات العالمية بنقل اخبار عن الوكالة من خلال نشراتها وبرامجها اليومية التي تبثها بالاضافة الى ان هناك العديد من الاذاعات تقوم بإعداد برامج متخصصة تتعلق بالشئون الاسلامية اعتمدت في مصادرها على نشرة وكالة الأنباء الإسلامية الدولية.

خدمات متبادلة :

تقوم بعض الوكالات برسال تقارير اخبارية عاجلة الى الوكالة مثل العمانية والليبية والعراقية والسعودية والاندونيسية. والخطوات التي ادت



إلى توسيع بث الوكالة الخطوة الأخيرة التي قامت بها وكالة الأنباء العراقية ببث أخبار وكالة الأنباء الاسلامية من خلال ارسالها اليومي كما وصل الى الوكالة ثلاثة صحفيين جدد معارون من النيجر، والعراق، واندونيسيا لينضموا إلى زملائهم المعارين من السعودية وليبيا.

خدمات متطورة :

ويجري العمل الآن على تركيب وتشغيل شبكة معلومات في الوكالة باستخدام أجهزة كمبيوتر حديثة من أجل تطوير الخدمات التي تقوم بها الوكالة ولحفظ المعلومات عن البلدان الاسلامية والأقليات. وقد تبرع بهذه الأجهزة الدكتور محمد عبده يماني.

أصحاب فضل :

وكانت وكالة الأنباء القطرية اول من بادر الى بث اخبار وكالة الانباء الاسلامية الدولية الى العالم العربي وآسيا وأوروبا وأمريكا كمساعدة منها للإعلام الاسلامي وكانت هذه أكبر خطوة في مجال تنشيط الوكالة الاسلامية.



كـمـا تـقـوم وكـالـة الأنـبـاء الانـدونيسيـة ببث أخبار وكـالـة الأنباء الإسلامية إلى آسيا بـاللغة الانجليـزيـة ومـحليـاً بـاللـغـة الاندونيسية كما بدأت وكالة الأنباء العراقية ببث نشرة «اينا» باللغات العربية والانجليـزية والفـرنسية لمختلف أنحـاء العـالم وعينت ـ مراسلا مخصصا للوكالة الاسلامية في بغداد واعارت خـدمات صحفي مرموق للعمل في مقر الوكالة بجدة.

وبـذلك أصبح للوكـالة مراكـز اقليميـة للبث الى افريقيـا وآسيـا والشـرق الاوسط بـالاضـافـة إلى مناطق أخـرى من العـالم التي تصلهـا خـدمـات وارسـال هـذه الوكـالات بـالاضـافـة الى ارسـال نشرات الوكالة بالبريد إلى المجلات والمراكز الاسلامية في بلدان عديدة ومنها بلدان الاقليات.

وفكرة البث عن طريق الوكالات في البلدان الاسـلاميـة رفعت عن الوكالة عبء تكاليف البث المباشر من قبلهـا وأوصلت أخبـارهـا الى جهـات ومناطق أوسـع في العـالم ووفـرت تكلفة المحطة السـابقـة المستأجرة التي كانت عبئا كبيـرا على الوكالة.

وقد استفادت الوكالة الاسلامية من المبنى الذي اهدته لها المملكة العربية السعودية، وهو مبنى ممتاز في موقع جيد في مدينة جدة.

وفي الختام نقول : ان الانجازات والأعمال التي حققتها وكالة الأنباء الإسلامية الدولية عديدة ومفيدة للدول الأسلامية وللقضايا الإسلامية ويرجع الفضل فيها للمساعدات التي قدمتها بعض الدول الإسلامية وفي مقدمتها قطر والعراق والكويت وليبيا والسعودية والأردن .

كما تقدم الوكالة شكرها لدولة النيجر لإعارتها صحفيا للعمل في القسم الفرنسي في الوكالة.

وتعبر عن التقدير للدول التي دفعت اشتراكاتها وهي الكويت والمغرب والاردن وليبيا واندونيسيا والسعودية، وتهيب بالآخرين أن يبادروا بتسديد اشتراكاتهم حتى تواصل الوكالة مسيرتها، ويتدعم نشاطها.

و«الوعي الإسلامي» تضم صوتها إلى صوت الوكالة مناشدة الدول والهيئات والأفراد أن يمدوا يد العون حتى يكون للوكالة دورها على المستوى العالمي وليس الإسلامي فقط.

*الاعتدال والتوسط *

قال الحكماء: عليك بالاعتدال في كل الأمور، فإن الزيادة عيب، والنقصان عجز.

وقال الشاعر:ـ

لاتذهبنَّ في الأمور فَرَطا
لا تسألنَّ إن سألت شططا
وكن من الناس جميعاً وسطا

• علماء وأغنياء •

هل العلم أفضل أم المال؟

أجاب الحكيم: بل العلم.

فقيل له: فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء. ولانكاد نرى الاغنياء على أبواب العلماء؟

قال : ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال، وجهل الأغنياء بفضل العلم.



للأستاذ / محمود عبداللطيف فايد

من هجرة الروس وافى أخطر النذرِ ويلا على آلنا ينداح بالخطر
ليسكنوا الدور إذ يمْضي بإخوَتنا بحْث عن الأمن عند الآل في وزرِ
يستقدم الهود أعوانا لنصرتهم بالسيف والفكر أقباسا ذوى شرَرِ
ونحن ندعو إلى سلْم تجنّبنا هول الوغى بعد إعداد لمؤتمر
هل يُرْجع الدار بعد الغزو غاصبُها؟ أو نستردّ سليب المجْد بالحجَرِ؟

****

العالم الحرّ قد ماتت ضمائرهُ وازداد بغْى العدا بالسخْر والصعَر
أنرتجى من (أمِرْكا) العدلَ منصفة وما حبتنا سوى غدرٍ.. سوى غرَرِ!
وهي السناد لعدوان علانية تمدّ خصْمي بما يدْنيه من ظفَر!
باغي العدالة من (بوشٍ) يخادعنا وحاضن الصلّ لا يحنو على بشر!
أطفال أمّتنا لاقوا مصارعهم وما يعاتب (بوش) باغيَ الحضَر!!
وحامل الحجر المقهور مضطهد وحامل المدفع الرشّاش ذو ظفر
أيستوي قاذف للنار صاعقة بصارخ يدفع الأعداء بالحجَر؟



ولن تـعـود حقـوق دون مـعـتـرك ... ولن يسـود ضعيف النـاب والظفُـرِ
وعـالم اليـوم غـاب قـد تـسـوّدهُ ... أسْدُ فمـاذا تـرجّى عصبـة الحُمُـر؟

****

يـاقـومـنـا: هـجـرةً لله خـالصـة ... تمحو الخنوع وتلْقى الشرّ بالشرر
وتُعْلم الروسَ أن الغـابَ مسكـنـنـا ... ومُـطعم العـرْب ذلّاً شبـه محتضَـر
حتى يعـود لبعض الروس مافقـدوا ... من رشدهم حين ظنّوا الضعف في زمَري
وحـامـل السيف لا يصغي لمـرحمـة ... ومن تـذأب في داري غـذا نمـري!
داس القـوانين من أعـطى أعـاديَنـا ... أرضـا سقتها دمـا الأبطال من نفَـري
والروس لن ينثنـوا إلا بغـضبـتـنـا ... وأرضنـا مصـرع للمعـتـدي الاشر

متى يـر الخصمُ أن الحرب صـادقـة يجنحْ إلى السلم أو يهربْ من الخطر
وفـي مـغـاويـرنـا ردّ عـلـى زمـر جـاءوا جرادا فـلاقوا حـول مقتـدر!
والله ينصـر من يحمَي لشـرعـتـه ومن نـأى بقـواه عـن أذى الخـدَرِ
ومـن يـسـخّـر أمـوالا لطاعـتـه ورفـع أمـتـه مـن آسـن كـدر
يحمي صنـاعتهـا، يـرعى زراعتهـا ولا يـكـفّ عـن الإعـداد والحـذر
لا شـيء يشـغـلـه عـن أمْن أمـتـه فـلا يـريق الغِنى للغيـد والوتـر!!
وليس حبّ غـواني السوء نـاصرنـا إن جدت الحرب بـالبادين والحضَـر
وفـي تـوحّـدنـا نصـر يـشـرّفنـا ولا انتصـار لشـعب فـاسـق بـطِر
وطاعـة الله مـن أسبـاب عـزّتـنـا وقـهْـر أنصار هود من بني الخـزرِ
ومن يعش بحيـاة اللهـو مشتـمـلا فـلن يكـون بمنـجـاة مـن الخـوَر
ألا نـقي أنـفسـنـا والآل مضـيعـة وعيشـة الذلّ كـالديـدان في الحُفَـر؟

****

أبنـاء يعـرب لايـرضـون منـزلة دون النجـوم ونُعْمَى العـزّ بـالظفر
فليحضر الهود من شـاءوا لنصرتهم فهم وقـود لنـيـران الغـد العكِـر!
ويـرفل المـؤمنون الصيـد في فـرح بيض الوجوه بقدْس المسجد العمري
ونعصـم الوطن الأسمـى بقـوّتـنـا ممّـا يـراد له من مـاحـق الغِيَـرِ

****

الشـرق والغـرب قـد كـادا لأمتنـا راما الدمـار لنـا بـالمـال والنفـر
ومن (أمـركـا) عتـادُ دونـمـا ثمـن خلّى الصهـاين يختـالون في بـطَر
ويـهـزأون بنـا مـن حمـقهـم علنـا كـأننـا عصبـة الخـرفـان والبقـرِ

غـدا نحيـط بهم فـي غيّـهم زحُـفـا — جيـوش يعـرب تشفيهم من الصعَـرِ
سيهـزم الجمْـع فـرّارين فـي فـرَق — وتـطهـر الأرض من عَهْـر ومن وضـر
ومـن يفـرّ إلى الرحـمـنُ فـي رشَـد — على العـدا ظافـر في وثبـة النّمـر
لا يعرف السلم (شاميـر) وعصبته — حتى يُـزفّـوا إلى تـنـورِ مسْـتعـر

****

أعـداء أمتنـا قـد وُحّـدوا حـنَقـا — أن نصحب الدهـر أحرارا من البشـر
فهـل يـظلّ شتيتُ الصف ينهكـنـا؟ — ومن يبيـع صحيـح الطرف بـالعـور
النصر والله يـا قـومي بـوحـدتنـا — نمحو الغزاة ونـذوروهم لقَى الحفر
وفي «أعـدّوا» طريق الحُول متضح — وفي الخـلاف ذهاب الريـح والسّـرُرِ





الحديث عن مشكلات المرأة المسلمة وقضاياها لا يمكن فصله عن الحديث عن مشكلات المجتمع الإسلامي بكامله، وقضاياه الحيوية، لأن المجتمع الإنساني بعامة، والإسلامي بصفة خاصة، يمثل نسيجا متكاملا لا يمكن عزل جزء منه عن بقية مكونات النسيج، ومن ثم: كانت تحولات المجتمع الاسلامي صعودا أو هبوطا، ورشادا وانحرافا، وقوة وضعفا، تعكس نفسها تلقائيا على أوضاع كافة مكونات المجتمع، ومنها أوضاع المرأة ومن جانب آخر، فإنه كلما كانت أوضاع وحالات المرأة المسلمة راشدة مستنيرة وقوية، استطاعت أن تمد المجتمع الإسلامي بمصادر متجددة من القوة والعزة والرشاد وبالتالي تكون مسيرة الأمة أكثر اطمئنانا على مستقبل أجيالها الجديدة

ونحن عندما نتعرض لبعض مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة، كمسألة «النهضة» لا نعني بطبيعة الحال عزل هذه الجزئية عن السياق

التاريخي العام لحركة المجتمع الإسلامي، وإنما نقصد تكثيف أشعة الضوء على هذه النقطة أو تلك بقدر ما لابسها من غموض واضطراب، وبقدر ماتعرضت له من تزوير وتضليل شديدي التركيز والكثافة والإلحاح.

والتفاتة الأمة إلى قضية المرأة المسلمة، وأوضاعها، وضرورات الاصلاح لهذه الأوضاع، والنهوض بالمرأة المسلمة لكي تقوم بدورها الفعال في المجتمع، هذه الالتفاتة بدأت مع الالتفاتة الكبرى للأمة منذ القرن الثالث عشر الهجري، والتاسع عشر الميلادي، نحو أوضاع المجتمع الإسلامي العامة، وتنبه رموز الإصلاح في الأمة إلى ضرورة النهوض بالأمة وتغيير أوضاعها، وتجديد معارفها، ولاسيما بعد أن وقع الصدام الحضاري العسكري، بين فرنسا ممثلة الحضارة الأوروبية المتفوقة بجيشها وقافلتها العلمية بقيادة «نابليون بونابارت» وبين مصر، ممثلة الحضارة الإسلامية الآفلة والذابلة في نهايات القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر.

هذا الصدام الحضاري، الذي كشف لرواد الإصلاح في الأمة، حجم التخلف الذي أصابها، ومبلغ الضعف الذي آلت إليه، مما دفع بالشيخ «حسن العطار» شيخ الجامع الأزهر إلى إطلاق صيحته الشهيرة بقوله: «إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ماليس فيها».

في ظل هذه الالتفاتة العامة إلى ضرورات الإصلاح، والنهوض بالأمة، جاءت الالتفاتة إلى ضرورات إصلاح أوضاع المرأة المسلمة، والنهوض بها لكي تكون على قدر التحدي الحضاري الكبير الذي يجابه الأمة، علما ورشادا، وقوة وايجابية، وفعالية في دفع حركة المجتمع إلى العلياء.

ومما يلاحظ ـ في هذا الشأن ـ أن البعثات التعليمية الأولى إلى بلاد الغرب، قد حرص أبناؤها لدى عودتهم إلى ديار الإسلام، على تنبيه الأمة إلى أوضاع المرأة الأوروبية، وقوتها وعلمها وجرأتها، حتى عقد بعضهم فصولا في مذاكراته في هذه البعثة للحديث عن شؤون «المرأة الأوروبية» مثلما فعل الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتاب «تخليص الإبريز من تلخيص باريز»، والذي سجل فيه مذكراته ومشاهداته في فرنسا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

ولم يكن هناك ضرر ـ من حيث المبدأ ـ أن تكون هذه المقارنات التي عقدت بين أوضاع المرأة المسلمة وأوضاع المرأة الأوروبية موقظا لوعي

الأمة بجانب هام من جوانب ضعفها، ومنبها إلى أن ثمة إصلاحا لابد من حدوثه في شؤون المرأة المسلمة للنهوض بها .

ولكن الضرر الكبير، وقع عندما استقر في أفهام بعض المصلحين، وأفكارهم الغضة، أن المرأة الأوروبية بحالها ووضعها وقيمها وسلوكياتها، هي الأنموذج الحضاري، والمثال الذي ينبغي أن تحتذي به كل امرأة متحضرة، أو تريد أن تسلك في علياء الحضارة، وكان الزلل الأول، والذي ترتب عليه كل زلل بعد ذلك، أن يغيب عن تصورات المصلحين، أو يسقط من حسابهم الفروق الجوهرية بين النظام العقيدي والتشريعي والقيمي الذي تحيا به وفي ظله المرأة المسلمة، وبين مقابله الذي تحيا به وفي ظله المرأة الأوروبية، هذا الغياب وذاك الاسقاط، الذي مهد الطريق إلى عملية التغريب الكبرى للمرأة المسلمة، فكراً وسلوكاً وانتزاعها من منبتها الاسلامي، لجعلها تعيش مناخاً إنسانيا آخراً لا يمت إلى الإسلام بصلة في كثير من أحواله، كل ذلك يتم تحت الحاحات دعائية كاذبة توهم المرأة المسلمة، أنها ـ بهذا الاغتراب ـ إنما تمارس عملية النهضة الكبرى، وتؤكد شخصيتها وتميزها في وجودها المستقل!

وكان مما أعان على ترسيخ هذا «الوهم» الكبير في مسيرة النهضة النسائية، أن الخلل قد بدأ ضئيلاً، وخفياً، وحيياً، وكان وكان طرحه ـ في غالب الأمر ـ محفوفا ببعض التحفظات الشرعية، بحكم صدوره عن مصلحين تربّوا تربية علمية إسلامية في بواكير حياتهم، إلا أن الخرق قد بان اتساعه عندما تسلم الراية من لم يتأسس ـ دينيا ـ على أسس قوية متينة من العلم والبصيرة والغيرة على الإسلام، فانفلتت مسيرة الاصلاح من القيود الشرعية، وجمحت خيل التغريب بما صعب على علماء الأمة لجمها والسيطرة عليها، واتسع الانحراف يوما بعد يوم، وتشعبت وجوه الاضطراب والخلل بما أعجز جيلا بكامله، بل أجيالا، عن علاجه وترشيده.

وكان مما أعان ـ أيضا ـ على قوة حركة تغريب المرأة المسلمة، وصناعة هذا «الوهم» الكبير باسم النهضة، سلبية كثير من أهل العلم، وإغماضهم تجاه هذه القضية الملحة، واكتفاؤهم ـ في غالب الأحيان ـ بالرد على «جزئيات» الانحراف التي كانت تتفجر كل حين من خلال مسيرة التغريب، كمسائل: السفور، والاختلاط، ونحوها، دون أن يقدموا رؤية عامة، أو مشروعا إسلاميا متكاملا في صلاح شؤون المرأة المسلمة، يقطعون به الطريق على

أتاحت للمنحرفين قيادة تيار النهضة، وإفساد شخصية المرأة المسلمة، فكريا وقيميا .

دلائل الوهم

ولعله من أوضح ما يدلنا على هذا الانحراف في مسيرة النهضة، في مجال المرأة، أن أول دعوة للإصلاح المزعوم كانت تتركز حول ضرورة السفور، والتخلي عن الحجاب، تحت شعار: تحرير المرأة، وأي عاقل رشيد لا يمكنه تصور أن كشف المرأة عن جسدها أو جزء منه يمثل الأولوية القصوى لنهضة المرأة وتحريرها، هذا إذا افترضنا أن هذا المطلب مشروع أصلا من وجهة النظر الإسلامية، وإذا افترضنا أنه يندرج في سلم متطلبات الإصلاح والنهضة .

وإنما الذي دفع إلى هذه «الفتنة» وصنع هذا «الوهم» الذي ـ مع الأسف ـ أثّر في قطاع كبير من نساء المسلمين، إنهم نظروا إلى المرأة الأوروبية وأوضاعها على أنها «الأنموذج» الكامل، تبعا للانبهار الشديد بالتفوق التقني والعلمي للمجتمع الأوروبي، هذا الانبهار الذي غيّب النظرة النقدية الفاحصة، والمرشحة لما يصلح وما لا يصلح، والموازنة بين خصوصيات المرأة المسلمة عقيدياً وتشريعيا وقيميا، وبين أحوال المرأة الأوروبية، بحيث نقدر ـ على هدى ونور ـ مايصلح للأخذ ومايتوجب الرد والرفض، اضافة الى نتيجه هذه النظرة النقدية من ادراك جوهر الأمور، ومعرفة الفارق بين القشرة واللباب من أمر الحضارة والنهضة، فلما غابت هذه النظرة النقدية، نقل أدعياء إصلاح المرأة القشرة، وتركوا اللباب، فرأوا أن «السفور» هو أول الطريق إلى نهضة المرأة المسلمة! وليس العلم والتربية والثقافة الأصيلة والشاملة .

ناهيك عن الخطأ الأول في هذا السياق، وهو أن البحث عن أنموذج» المرأة الصالحة المتحضرة، اتجه إلى حضارة الغرب المسيحية اللادينية، ولم يتجه إلى حضارة الشرق الإسلامية في عصورها الراشدة والقوية، من الصدر الأول ـ خير القرون ـ وماتلاه.

ثم إن هذا الانحراف الأول في مسار نهضة المرأة، قد ارتبط بالشعارات الموهومة التي رفعها المنحرفون مثل شعار «تحرير المرأة» وهو شعار جميل، ولكنهم أساءوا إليه بجعله مرتبطاً بالدعوة إلى السفور والتبرج، حتى أن جماهير الأمة اليوم لايذكر عندها اصطلاح «تحرير المرأة» إلا ويقع في خاطرها ـ على الفور ـ معنى تبرجها وسفورها، وأصبح وصف المرأة بأنها «متحررة» مرادفا

تاما لوصفها بالتبرج والسفور، برغم أن وصف «الحرية» ـ في جوهره ـ لا يؤدي الى ذلك المعنى أبدا، ولكن المنحرفين أرادوا أن «يجملوا» دعواهم به، فقبَّحوه ولم يجمِّلوا دعواهم، حيث أصبح ذكر «تحرير المرأة» اليوم مثيرا للقلق والاشمئزاز لدى المسلمين كافة!، وطبيعي أن الأمة لا ترفض «تحرير المرأة» في ذاته، وبمضمونه الإسلامي، كحرية الفكر والشعور والرأي والتملك ونحوها، في حدود شرع الله، الذي يحكمها كما يحكم الرجل، وإنما الأمة ترفض ماستقر عليه هذا الاصطلاح من قبح في الرأي، ودمامة في الخلق، وتفحش في السلوك، وتجرؤ على حدود الله .

وهذا ما ينبهنا إلى الخدعة التي يروجها أدعياءنهضة المرأة، من أن رفض المسلمين لمسلكهم المنحرف هو عداء لحرية المرأة وعلى المرأة المسلمة أن تنتبه لهذه الخدعة، وأن تتبصر بزيف هذا الوهم الكاذب.

إن التلاعب بالمصطلحات، أبدا لن يجعل الباطل حقا، أو الظلمة نورا وضياء.

وفي هذا السياق نفسه، نؤكد بأن الكثير من المحاولات التي قام بها أدعياء إصلاح المرأة من المتغربين، قد عطّلت من النهضة الحقيقية للمرأة، وأساءة إلى مسيرة الإصلاح، وخير شاهد على ذلك الدعوة إلى تعليم المرأة المسلمة، وإنقاذها من الأمية والجهالة، وهي دعوة حق، ولكن المنحرفين حرصوا على ربطها بما ينفّر الأمة منها، مثل الحرص على اختلاط المرأة بالرجال، والفتيات بالفتيان، في دور العلم من سلّمه الأول، وحتى الجامعات، فكأنهم حرصوا على أن يضعوا الأسرة المسلمة أمام مفارق طرق، أو مأزق نفسي وديني، إما أن يعلموا بناتهم، وإما أن يحفظوا عليهم خلقهن ودينهن، إما أن يبقين بلا علم، وإما أن يفرطن في التزاماتهن الدينية والخلقية والتربوية.

ومن حيث المنطق والحس المشهود، فليس ثمة لزوم بين التعليم والاختلاط، ولم يقل أحد بأن الفتاة إذا تعلمت بجوار صاحباتها ولداتها سيسوء فهمها، ويتأخر تعليمها، ولكن، برغم ذلك الوضوح، فقد حرصت الدعوات المشبوهة والمنحرفة، بمعونة مؤسسات في خارج الديار وداخلها، على ربط تعليم المرأة بالاختلاط، مما أساء أبلغ إساءة لنهضة المرأة المسلمة، لأن الكثير من الأسر المسلمة، ارتضت أن تبقى بناتها أميات، ولايختلطن بمن لا يحل لهن المخالطة بهن من الرجال، وكان الأمر ميسورا منذ البداية، وكان من الهيّن أن نجمع

بين تعليم المرأة والتزامها بخلقها وموقفها الديني الملتزم، وكان هذا سيعوض الأمة أكثر من نصف قرن ـ على الأقل ـ ذهب هدرا في التجاذب والعراك بين الفرقاء في هذه المسألة، خرج فيه جيل، بل أجيال، من نساءالمسلمين، إما محرومات من حق التعليم، وإما محرومات من ممارسة التزاماتهن الدينية كاملة .

فلمصلحة من نلزم الأسرة المسلمة بما لا يلزمها؟ وهل النهضة هي أن نهدر أجيالا من نساء المسلمين لمجرد ترسيخ مبدأ علماني غربي في ديار الإسلام، ليس له أي مردود نهضوي أو عقلاني في مسيرة الأمة نحو السبق الحضاري الراشد؟

ومن معالم الانحراف في مسيّرة نهضة المرأة في ديار الإسلام أيضا، اختلاق صراع مرير!! بينها وبين الرجل والمحاولات الدؤوبة لتكوين جمعيات نسائية لقيادة هذا الصراع التاريخي للمرأة ضد الرجل!! والإلحاح الإعلامي على ضرورة أن تنتزع المرأة حقوقها ولا تنتظر من يهبها تلك الحقوق، وأن تطالب بتشريعات وقوانين جديدة تحقق لها مكاسب اجتماعية، ونحو ذلك من أوهام التقليد والتبعية لأنموذج المرأة الغربية، ومما هو جدير بالذكر هنا أن رائدات هذه «الحرب الضروس»! في ديار الإسلام تحرص العديد من الدوائر الثقافية والفنية والنسائية الغربية على دعوتهن كل حين، لزيارات في عواصم اوروبية مختلفة، بما ينفخ فيهن من الشعور بالقوة والحضور والاهتمام العالمي برسالتهن! ولكن اللبيب الفطن لا تخفى عليه إيحاءات ودلالات تلك الدعوات المشبوهة.

وما يهمنا هنا التنبيه عليه،بأن المرأة الأوروبية قد واجهت ظروفاً تاريخية واجتماعية تختلف جذرياً عما واجهته المرأة المسلمة، وهذا مما يطول شرحه، وإنما يكفينا أن نذكر بأن المرأة الأوروبية واجهت مجتمعاً أعلن عزله النهائي للدين عن قيادة المجتمع أو التأثير في شرائعه وأحكامه، ناهيك عن أن أصل الدين هناك ـ المسيحية ـ لا يعني بالتشريع الاجتماعي .

ومن ثم، فعندما تثور المرأة الأوروبية وتقترح تشريعات وتطالب بقوانين، فإنما تواجه مجتمعا علمانيا لا دينيا، وتخاطب مشرّعا بشريا مثلها سواء بسواء، أما المرأة المسلمة فهي تعيش في رحاب دين الحق، بمظلته التشريعية الربانية، فعلام تثور المرأة المسلمة، وعلى من تثور؟، أتثور على ربها ـ سبحانه ـ أم تثور على دينها وشريعة نبيها؟!

إن المجتمع الإسلامي برجاله

ونسائه على السواء، إنما يخضع لشرّع واحد، ودين واحد، لا يملك بشر، رجلاً كان أو امرأة، أن يبدل فيه أو يغير، ويبقى بعد ذلك مسلما، ولهذا السبب، وله وحده، لم يعرف المجتمع الإسلامي على مدى قرونه الخمسة عشر ظاهرة الصراع الموهومة بين المرأة والرجل، وإنما عرف هذا المجتمع حياة التراحم والتكافل، والتعاون على البر والتقوى، ولم تكن المرأة المسلمة تستلهم أو تتأسى، بأنموذج المرأة في ديار الغرب أو الشرق، وإنما كانت تستلهم سيرة أمهات المؤمنين، وتتأسى بناء الصدر الأطهر، وتدرس في كتاب ربها وسنة نبيها، لتعرف حقوقها وواجباتها، وأيضا، دورها في خلافة الله في الأرض.

وعندما تلزم المرأة المسلمة هذا الهدي القويم، وتنفض يديها وفكرها وقيمها من غبش التصورات المستغربة، وخلال الدعوات المشبوهة، تكون قد بدأت نهضتها الحقيقية، وانتظمت في مسيرتها المتحضرة والرشيدة، وثمة إرهاصات ومبشرات، من خلال الصحوة الإسلامية الجديدة، بأن هذه النهضة المأمولة قد بدأت بالفعل.

من السفيه ؟

كان رجلا ذا جاه ومال، بنى لنفسه داراً، وكان في جواره بيت لعجوز لايساوي شيئا من المال، وكان محتاجاً إليه في توسعة داره، فعرض عليها مبلغاً كبيراً من المال ثمناً لبيتها، فأبت أن تبيعه.

فقيل لها: إن القاضي سيحجر عليك بسفهك لأنك أضعت مبلغاً كبيراً، ودارك لاتساوي شيئا.

فقالت: ولم لا يحجر القاضي على من يريد الشراء بهذا المبلغ الكبير؟ ورفضت أن تبيع بيتها، وأفحمت الجميع بقوة حجتها.

كتاب الشهر

منهج المؤمن بين العلم والتطبيق

تأليف الدكتور/ عدنان علي رضا النحوي
عرض وتحليل الأستاذ/ عبدالله خليل شبيب

لقد استطاعت الهزات العنيفة والنكبات المتتالية والضربات الموجعة التي حلت بالعالم الاسلامي ان تحدث كثيرا من الآثار الضارة بهذا العالم من نواح عدة.. ولكنها مع ذلك أدت الى ردود فعل طبيعية حيث بدأ كثير من المسلمين يراجع ذاته وينفض عنه غبار الغفلة، ويتلمس الخروج من متاهات الضياع المتنوعة فلم يجد افضل له من ان يعود الى شريعة الله وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يتلمس فيها النور الهادي الى الصراط المستقيم: (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**) المائدة/ ١٥و١٦

وأخذ الكثيرون يقبلون على تدارس دينهم وفهمه ومحاولة الالتزام به. وتزايدت المساجد في انحاء العالم العربي والاسلامي وتكاثر روادها. وكان هذا الاقبال على الله والعودة إلى رحابه، وهذا الوعي الاسلامي - المتفتح كما تتفتح الزهور في الربيع -

في حاجة الى من يرشده ويوجهه الوجهة السليمة حتى لا تنجح محاولات التشويه والتزوير والتضليل والانحراف المترصدة به وبكل خير.. في صرفه عن مساره أو إساءة استغلاله او إجهاضه أو تحويله الى نقمة وخلاف وفتنة بدلا من كونه نعمة وعامل نهضة ووحدة وقوة وكان من الطبيعي ان تكون هناك تجمعات ولقاءات واجتهادات منها المخطىء ومنها المصيب. ولكل أجر على قدر نيته مادام يبتغي رضا الله ومصلحة الاسلام والمسلمين لا مصلحة آنية زائلة ولا منفعة شخصية أو فئوية ضيقة والله اعلم بالبواطن والسرائر ولأن الاجتهاد بشري، وقدرات البشر تختلف وتتفاوت وتتأثر بالظروف المتغيرة ووجهات النظر والزمن وغير ذلك وكان لابد من تعدد الآراء وتنوع الوسائل، وكما اختلفت المذاهب الفقهية والنص واحد.. اختلفت كذلك التجمعات الاسلامية والهدف واحد.. والله اعلم.

وطرحت حلول عدة للقضايا المختلفة ولسبل العمل وغمر المكتبة الاسلامية سيول متلاحقة من المؤلفات المتفاوتة المستوى في شتى نواحي المعرفة الاسلامية والحياة العامة.. اضافة الى اعادة طبع ونشر وتحقيق العديد من كتب السلف السابقين.



ومع كل ذلك فإن ما يسمى بالصحوة الاسلامية. كانت عارمة دافقة لا يستوعبها تجمع ولا منهج محدد ولأن كثيرين من العاملين للاسلام لا يتضح لديهم منهج محدد.. لذا استدعى الأمر محاولة تحديد منهج إسلامي واضح وعام يكون به المرء المسلم نفسه حسب مصادر الاسلام الأصيلة ويثبت على خطه الايماني ويتابع الترقي في مجالات المعرفة والفكر، والعمل على ملاحقة معطيات الواقع المحيط واعطاء كل ذي حق حقه.

وهذا ما حفّز الدكتور عدنان علي رضا النحوي المهندس الالكتروني والداعية المخضرم والشاعر والمفكر الاسلامي الذي أمد المكتبة الاسلامية بالعديد من الكتب والابحاث القيمة..

حفزه لطرق هذا الموضوع المهم فكان كتابه هذا الذي نحن بصدده والذي أسماه: «منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ».

لقد لاحظ المؤلف كثرة المصلين وضآلة أثرهم واستشعر أن هناك مرضا ما: «فلو أحصينا عدد الذين يدخلون بيوت الله يصلون في العالم الاسلامي، لوجدنا ان العدد كبير جدا يكفي ليقدم للأمة اعظم الجيوش عددا، وأوسعها مددا، ومع ضخامة العدد والمدد نجد الهزيمة والضياع.. فهنالك إذن مرض ما.. أو وهن ما.. أو سوء ما».

وهذا يذكرنا بالحديث الصحيح الذي ذكره المؤلف وأورده وهو ينطبق على حال المسلمين اليوم - وهو حديث ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها: فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن: فقال قائل: يارسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» رواه الامام أحمد وأبوداود في كتاب الملاحم (باب في تداعى الأمم على الاسلام) جـ٢ ص٢١٠.

ولاحظ المؤلف استفحال المرض في الجسم الاسلامي وفظاعة الفواجع والنكبات والأحداث وتتابعها منذ أزمان.. واستخلص من ذلك دروسا ثلاثة:

١ - وجوب ان يبدأ المؤمن بنفسه ويداوي مرضه قبل غيره ، وهو ماينساه الكثيرون حيث ينحون باللوم على غيرهم وينسون انفسهم (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**؟) البقرة/ ٤٤

٢ - أن يكون لكل فرد في الأمة مسؤولية وأمانة يجب ان يقوم بها بجد وعزيمة .

٣ - أن تحديد تلك الأمانة والمسؤولية منوط بمنهج الله تعالى قرآنا وسنة فالله هو الذي يحددها. كما تلمس المؤلف في واقع المسلمين ضعف الزاد من العلم الحق لدى كثير من المسلمين واضطرابه لدى فئة منهم، مما جعل الموازين تختل والصور تختلط. فسهل اندساس المنافقين لتوهين الصفوف واقتحام الأعداء للثغور ص ١٢ و١٣ كما لاحظ المؤلف أن كثيرا من المسلمين يجهدون في أمر معايشهم ودنياهم ويخططون لها ويدأبون في طلبها ويهملون أمر آخرتهم ولايكادون يعملون لها إلا قليلا مع أنها هي الأهم والأخطر. (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة) رواه الترمذي من

حديث أبي هريرة (باب القيامة رقم الحديث ٢٤٥٠)

وللخروج من هذا المأزق لابد، كما يرى المؤلف من صحة النية، وصدق العزيمة وتأتي بعد ذلك الخطوات العملية وأولها العلم الذي أساسه منهاج الله قرآنا وسنة.. ثم الواقع البشري.

وعلى هاتين القاعدتين الاساسيتين: **العلم بالمنهاج الرباني والواقع البشري**.. أقام الدكتور عدنان النحوي منهجه الفردي أو الذاتي الذي رسمه للمؤمن في كتابه هذا.

أبواب الكتاب :

ولقد جاء الكتاب في أربعة أبواب بعد الافتتاح والإهداء والمقدمة والتمهيد.. تناول في الباب الأول: المنهاج الذاتي ومراحله، وفي الباب الثاني اهداف المنهاج ومراحل التربية والبناء، وفي الباب الثالث موضوعات عامة عن منازل المؤمنين والموازنة بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الأمة وبعض القضايا في الممارسة الايمانية .

وفي الباب الرابع أورد قائمة المراجع العامة للمنهج الذاتي.

المنهاج الذاتي :

وعنوان الباب الأول «المنهاج الذاتي» وفيه أربعة فصول.

في الفصل الأول: لماذا المنهاج الذاتي؟

يقول المؤلف: إن دور القرآن والسنة ليس مجرد شعار أو شعائر كما يبدو لدى كثير من المسلمين لكنه لابد من أن يكون ممارسة ايمانية عملية ويجيب على السؤال «عنوان الفصل» بنقاط هي:

- أنه أمر الله تعالى.
- عبرة التاريخ والأحداث: حيث يرجع كثيرا من مصائب المسلمين الفاجعة كمقتل عثمان رضي الله عنه وكسقوط الخلافة الى الجهل بمنهج الله والبعد عنه والتباعد والانفصام بين الممارسة والعلم.

- انه واجب يفرضه الايمان.
- أنه منهج مدرسة النبوة.
- أنه واجب يفرضه الواقع.

ويرجعنا المؤلف في هذا الفصل الى كتاب آخر له هو «دور المنهج الرباني في الدعوة الاسلامية».

وفي الفصل الثاني من الباب الأول «المنهج الذاتي أو الفردي». يوضح أن نظريته في هذا المنهج تقوم على ثلاث ركائز:

١ ـ المنهج الرباني .
٢ ـ الواقع
٣ ـ الممارسة الايمانية.

ويحاول تحديد منهج لدراسة

القرآن الكريم والسنة وحفظهما ودراسة اللغة العربية التي يعطيها حقها من الاهتمام في العلوم المساعدة ودراسة الواقع.

وفي الفصل الثالث من الباب الأول «مراحل المنهاج الذاتي» يقسم تلك المراحل الى خمسة أقسام محدداً زاد كل مرحلة مقدرا للمراحل الأربع الأولى نحو ١٧ عاما: وأما المرحلة الخامسة فهي صحبة العمر.

ثم يأتي الفصل الرابع والأخير من الباب الأول ليورد قائمة مبسطة لمراجع المراحل الأربع الأولى في سائر فنون الدراسات المطلوبة .

الباب الثاني : الأهداف والمراحل:

ويقع الباب الثاني «الأهداف والمراحل في فصلين يتممان ـ كما يقول ـ ما ورد في كتابه «دور المنهج الرباني» وقد حدد في الفصل الأول أهداف المنهاج الذاتي والتربية الايمانية في عدة نقاط أهمها:

* توحيد أسس التصور والفكر.
* الاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
* تيسير العلم والبناء والتوجيه.
* وضع الأسس التربوية للقاء المؤمنين: (للمؤلف في هذا الموضوع كتاب مؤلف من جزءين).
* تنمية الايمان.
* العلم وتنميته .
* رعاية القدرات والمواهب.
* التدريب من خلال العلم والممارسة.
* حماية الروابط الايمانية وتنميتها.
* المساهمة في بناء الأمة.
* الادارة والنظام والنهج والتخطيط.
* ـ بناء الرأي العام المؤمن.
* ـ الاعلام الايماني .
* دفع أدب الايمان وتنمية الادب الاسلامي (وللمؤلف حول الأدب الاسلامي كتاب مستقل).

أما في الفصل الثاني: مراحل التربية والبناء فيحدد المؤلف خمس مراحل:

١ ـ الدراسة والتخطيط .
٢ ـ البلاغ والايمان .
٣ ـ التدريب والاعداد.
٤ ـ المنهج الذاتي .
٥ ـ مرحلة التزام المنهج الذاتي ـ صحبة عمر ـ.

الباب الثالث: «موضوعات عامة»

ويقع الباب الثالث في ثلاثة فصول:

الفصل الأول «منازل المؤمنين بين الحقوق والواجبات حيث يدعو الى أن يعرف كل مؤمن حدوده وقدراته «رحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده» ويعرف منازل الآخرين ويعترف بالفضل لأهله لئلا تختلط الأمور

وتضطرب الموازين. ويستدل على ذلك بعلم مصطلح الحديث (الجرح والتعديل).

ويضع في هذا الفصل خطوطا لمعالجة النفس البشرية وتكامل القواعد في ميدان الممارسة وتعارف المسلمين بعضهم ببعض، وللمؤلف كتاب آخر في هذا اسمه «لقاء المؤمنين» ـ كما أسلفنا ـ واخيرا يحاول في هذا الفصل تحديد ميزان عادل أمين للحدود والمنازل.

أما الفصل الثاني من الباب الثالث فهو بعنوان «الموازنة بين مسؤولية الفرد والأمة» لكل واجباته وحدوده ولابد من تلك الموازنة التي تحفظ كيان الفرد وحقه دون أن تتيح للأنانية أن تطغى أو للأثرة أن تستحكم فتضيع حقوق الآخرين أو تذيب شخصياتهم.

ويحدد المؤلف في ص ١٨٠ و١٨١ العوامل الرئيسية التي توفر للمؤمنين ممارسة أقرب للتقوى وممارسة أدنى من الأمانة.

وفي الفصل الثالث من هذا الباب «قضايا في الممارسة الايمانية» يبسط المؤلف الحديث في ست قضايا:

● مقارنة مجملة بين الأمس واليوم يخرج منها إلى وجوب النهوض بالتبعة والمسارعة الى العمل والتطبيق وتدارك الأمر.

● تكامل سلوك المؤمن وتناسقه حيث يرفض النفاق ويرفض أن يؤمن الانسان ببعض الكتاب ويعرض عن بعضه.

● تكامل فقه الدعوة في حدود الوسع والقدرة لكي تتكامل الممارسة الايمانية.

● رد الأمور الى منهاج الله وأورد تسع قواعد رئيسية لتحقيق ذلك.

● استمرار الممارسة الايمانية وامتدادها ومحورها الصلاة بمعناها الواسع وآثارها العميقة.

● النظرة الايمانية لبذل الجهد والطموح الانساني لجني الثمار حيث يرجع الأمر كله الى الله أولا وآخرا.

الباب الرابع: قائمة المراجع العامة للمنهاج الذاتي (المرحلة الخامسة):

لقد سبق أن قسّم المؤلف مراحل المنهج الى خمس مراحل ـ كما رأينا ـ جعل المراحل الأربع الأولى محددة الزمن ـ تقريبا ـ وحدد لها مراجعها وخطواتها وجعل المرحلة الخامسة هي بقية الحياة.

وفي هذا الباب يورد أهم نماذج المراجع لهذه المرحلة مع تركه الأمر لظروف كل فرد وقدراته واعترافه أنه لم يستوعب جميع الكتب في كل باب.

وقد أجمل المراجع في فئات:

١ ـ مراجع دراسة المنهج الرباني

(القرآن والسنة واللغة العربية).
٢ ـ مراجع دراسة الواقع.
٣ ـ مراجع دراسة فقه الدعوة.
وقد جاءت في آخر الكتاب حيث سبقها (رابعا) ـ ربما سهوا.
٤ ـ مراجع دراسة العلوم المساعدة.
وأمام مراجع كل موضوع كان يسبقه بصفحة يجمل فيها أهم بنود دراسته.

وفي الختام يعود المؤلف ليؤكد ما سبق أن وضحه مرارا من قبل أن القرآن سهل المأخذ ميسر لمن أراد أن يتذكر «**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**». وإن شعر أحد بصعوبة فإنما ذلك من أثر الإعراض والهجران وبعد العهد والنسيان.
كما يؤكد المؤلف كذلك ـ في نهاية مشروعه ـ أن سبيل النجاة الوحيد هو سبيل الله لا غير.. ومهما حاولت البشرية سلوك غيره فستظل تتخبط الى أن تعود الى الله.

خاتمة وملاحظات :

وأخيرا نجد أن الدكتور عدنان قد حاول رسم منهج متكامل، وبذل في ذلك غاية جهده وعصارة فكره فيما يبدو لنا ـ ونسأل الله أن يجزيه خير الجزاء.

ومع تقديرنا لجهد المؤلف المشكور إلا أننا نبدي بعض الملاحظات التي ربما كان له عذر أو رأي في عدم الأخذ بها أو ربما يحاول استدراكها فيما يلي من الطبعات إن شاء الله.

١ ـ في الصفحة ٥٩ مثلا حشد قضايا للدراسة في إحدى المراحل.. ربما استوعبت العمر كله ولم يكف لدراستها.

٢ ـ في الصفحة ٨٠ ـ رابعا ـ يتحدث عن فهم واقع الناس الذين يدعوهم الانسان وما يجب أن يعرفه عنهم.. الخ نرى مقدار المشقة في دعوة شخص واحد ومعرفته.. فكيف بدعوة هي للعالمين كافة؟

٣ ـ في المراجع ذكر مؤلفات ثانوية وأهمل بعض أمهات الكتب كسيرة ابن هشام مثلا في مراجع السيرة وإن كان قد ذكر تهذيبها.

٤ ـ لاشك أن أهم عامل في تكون انسان لابد أن يأخذه الداعي في اعتباره هو الاخلاق والسلوك وهو ماركز عليه الاسلام كثيرا ولا نرى أن هذا الموضوع قد أخذ حقه كاملا في الدراسة أو أبرز ابرازا كافيا، حتى مراجعه من كتب الاخلاق والسلوك لم يرد ذكر لأكثرها.

٥ ـ الجهاد بنوعيه: جهاد النفس وجهاد السيف. من أهم الركائز في منهج المؤمن ومن أهم مقتضيات الايمان وفروضه.. ومع ذلك ماكان

للمؤلف نحوهما الا اشارات عابرة لا تكاد تذكر.

ولا أظن الاخ المؤلف ينسى أن هنالك مدارس تربوية اسلامية كاملة قامت على أساس جهاد النفس وتهذيبها وخرجت رعيلا من أكابر الرجال في أجيال عدة.. بلغوا من الصلاح والذوق ورقة الأدب وسمو العبارة ـ مبالغ جعلت كثيرا منهم من المثل العليا وجذبت انتباه كثير من المفكرين حتى غير المسلمين لسمو أساليبهم وأفكارهم.. وفيها الكثير مما يشفي ويغني في مجالات التربية.

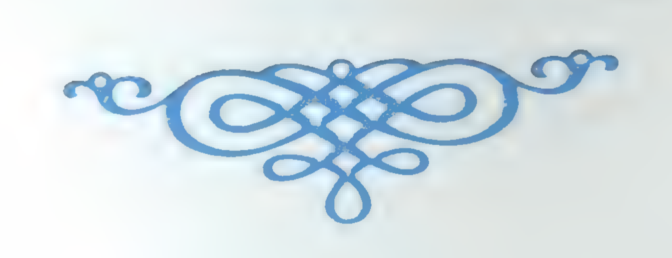
٦ ـ واستطرادا واكمالا لهذا.

نقول: إنه لم يركز كذلك على التربية الروحية ومراجعها كذلك وهي ماينمي علاقة المؤمن بربه على أساس المحبة والرضا وحسن الظن، كما أنه أهمل مراجع مهمة في هذه المجالات كإحياء علوم الدين للغزالي والروح ومنازل السالكين لابن القيم وقوت القلوب لأبي طالب المكي وحلية الأولياء لأبي نعيم وكثير من كتب الايمان والاخلاق والتهذيب.

٧ ـ كما نرى ان المؤلف أهمل أهمية الاعلام ـ وبخاصة الصحافة الاسلامية ـ في صياغة فكر المؤمن.. وبعث الوعي الاسلامي والإحاطة بشؤون المسلمين وبكثير من قضايا الواقع المعاصر المحيط بنا .

ولكننا نعود ونقول: إن الدراسة أو الشروع (لتحديد منهج المؤمن) الذي نحن بصدده.. عصارة فكر خبير في الدعوة، ونتاج ملاحظات عمر مبارك من العمل الاسلامي، وتجارب متنوعة.. مما يعمق الدراسة ويثريها ويعطيها قيمتها النظرية والعملية الواقعية معا ويجعلها جديرة باهتمام واطلاع كل مسلم يريد أن يخرج من دوامة الضياع والخمول.. وبدء طريق العمل الدائب لاصلاح الفرد ثم المجتمع لتتحقق آمال الأمة وأمانيها وتقوم من كبوتها وتستيقظ من غفوتها وتغير مابها ليغير الله أحوالها الى الأحسن.

أثاب الله الدكتور عدنان النحوي أجزل الثواب على مابذل من جهد وجعل عمله خالصا لله تعالى.. ونفع به الاسلام والمسلمين أعظم نفع يرجى.. ولله الآخرة والأولى.



عبرة من التاريخ:

أمير في سجن أغمات

للدكتور / عبدالسلام المحسيري

يالك من مسكين يستقبل قدره البائس!

فها هو عدوك يسد عليك الآفاق، كما يسد الغيم المتلبد أقطار السماء، وها هو يحيط بك من كل صوب، كما يحيط القيد بساق الأسير. وتلك جموع جندك تسلمك لقدرك الحزين، فما لك من أمل ترجوه في النصر ولا من رجاء تؤمله في النجاة!

وها أنت ذا تبرز من قصرك في (إشبيلية)، وما على جسدك سوى قميص، تروم القتال، وما هو إلا قتال اليأس! ويشفق الأهل عليك، فيلحون عليك كي تستسلم، وتأبى! وتتمنى الموت ولا تلقاه! وما هي سوى سويعةٍ حزينة، حتى تؤسر، وتزج يداك ورجلاك في الأغلال، وتسلب الملك، وتقاد ذليلاً! أية مصيبة فادحة تنزل بك الساعة «يابن» عباد، وأي مصير بائس ذلك الذي تؤول إليه؟!

قالوا الخضوع سياسة
فليبد منك لهم خضوع
وألذّ من طعم الخضوع
على فمي السم النقيع

إن يسلب القوم العدى
ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه
لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم
ألا تحصّنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص
على الحشا شيء دفوع
وبذلت نفسي كي تسيل!
إذا يسيل بها النجيع
أجلي تأخر لم يكن
بهواي ذلي والخضوع
ما سرت قط إلى القتال
وكان من أملي الرجوع
شيم الألى أنا منهم
والأصل تتبعه الفروع

ويؤخذ (المعتمد بن عباد) أمير (إشبيلية) بالأندلس أسيراً إلى (طنجة) بالمغرب.

ولعل صوراً من الماضي تغدو على المعتمد، وهو في بعض الطريق إلى طنجة، ولقد تنهش الذكريات روحه، وهو يذكر كيف زُيِّن له حب الدنيا والشهوات حين ارتقى سدة الحكم سنة ٤٦١هـ وكيف استوزر صاحب السوء (ابن عمار)، وتحالف مع ملك أمراء الفرنجة (الفونسو السادس) ملك قشتالة وليون ضد بقية أمراء الطوائف، حتى ذاق أمراء الطوائف وبال أمرهم من الفرقة، وغدت خيول الفرنجة تطأ ديارهم ورماح الفرنجة تنوشهم. ولعل المعتمد يحسُّ ببعض العزاء وذكرى (معركة الزلاقة) تعبر بخاطره، حين هداه الله، فأدرك فداحة الأخطار التي تردى فيها بمحالفة ملك الفرنجة، فندم، ونكص عن تعاونه مع ملك الفرنجة، وتداعى إلى لقاءٍ مع أمراء الطوائف، اجمعوا فيه أمرهم على نبذ الفرقة والوقوف صفاً واحداً في وجه الفرنجة وطلب النجدة من (يوسف بن تاشفين) سلطان (المرابطين) المغاربة، فلبى النداء، والتقت جيوش المسلمين من دول الطوائف والمرابطين بقيادة المعتمد وابن تاشفين، في معركة طاحنة على صعيد الزلاقة مع قوات الفرنجة سنة ٤٧٩هـ - ١٠٨٦م، أبلى فيها المعتمد بلاء من تاب إلى الله، فأظهر شجاعة عظيمة وبطولة فريدة.

ويقضي الله في (معركة الزلاقة) العظيمة أن يرى المسلمين أثر وحدة الأمة، فينصر المسلمين نصراً عزيزا. وما يهبط ليل يوم الزلاقة، إلا وجند الفرنجة بين قتيل خرَّ لحتفه بسيوف المسلمين وفارٍّ يتسلل تحت جنح الظلام يجر أذيال الهزيمة، بمن فيهم الملك (الفونسو السادس) نفسه الذي تسلل مثخناً بالجراح منكس الراية مخذولاً !

ويشاء الله أن تكون (معركة الزلاقة) صفحة ناصعة واشراقة

وضاءة في حياة المعتمد.. ولقد تختزل حياة المرء في غدوة من نهار، يركب صهوة المجد فيها ويكون العز في إهابه!

ويشاء الله أن يجعل للمعتمد من (معركة الزلاقة) سبيلاً إلى التوبة الصادقة، فيغدو ملتزماً بالإسلام في سلوكه وشعره.

ويعزم (يوسف بن تاشفين) سلطان المرابطين فيما بعد على التخلص من ملوك الطوائف بالأندلس، ليتسنى له التصدي للفرنجة والدفاع عن الأندلس. ويؤسر المعتمد، ويؤتى به من (إشبيلية) إلى (طنجة). ولم يشفع له عند فقهاء المرابطين جهاده للفرنجة وانتصاره المبين عليهم في (معركة الزلاقة) فحكموا عليه بالسجن، ثم نفي إلى (أغمات) بصحراء مراكش.

وتبعد بالمعتمد الشقة في (أغمات)، ولم يعد يهوى إليه من الأصحاب سوى صديقه الوفي الشاعر (أبي بكر بن اللبانة)، الذي رثاه غداة أخرج من (إشبيلية) في يوم ماطر بقصيدة تقطر أسى مطلعها :

تبكي السماء بمزن رائح غادي
على البهاليل من أبناء عباد

وتطول الحياة بالمعتمد وهو أسير في (أغمات)، تعض القيود ساقيه، ويفتت الأسى قلبه، وتنهش الذكريات نفسه، ويعصر الألم روحه فتقطر ألحاناً مؤمنة شجية ينشد بها السلوى!

ويخر أبناء المعتمد في الأندلس للموت واحداً إثر واحد. وتغتال المنية زوجته (اعتماد) الحسناء الشاعرة الذكية التي واسته في منفاه، فلا يعدل حزنه على فقدها إلا حبه الذي طوى عليه جوانحه.

حب اعتماد في الجوانح ساكن
لا القلب ضاق به ولا هو راحل

ويتصدع قلب المعتمد، وهو الشاعر المرهف، حين تغدو عليه بعض بناته في عيد الفطر حافيات، عزت عليهن لقمة العيش، فرحن يغزلن للناس بالأجر، فيهتف والدمع يطفر من عينيه:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً
فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة
يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين والأقدام حافيةٌ
كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
من عاش بعدك في ملك يسرُّ به
فإنما عاش بالأحلام مغرورا

ويشاهد ذات يوم سرباً من القطا يدرجن على الصحراء، فتتوق نفسه إلى الحرية، ويسبل الدمع، ثم ينشد:

بكيت الى سرب القطا إذ مررن بي
سوارح لاسجن يعوق ولاكبل
هنيئاً لها ان لم يفرَّق جمعها
ولاذاق منها البعد عن أهلها أهل
وأن لم تبت مثلي تطير قلوبها
إذا اهتز باب السجن أوصلصل القفل
إذا عصم الله القطا في فراخها
فإن فراخي خانها الماء والظل

ويبكي ذات يوم لحمامة تهدل

وحيدة قرب السجن:

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكر
مساء وقد أخنى على إلفها الدهر
بكت لم ترق دمعاً وأسبلت عبرة
يقصّر عنها القطر مهما هما القطر
وناحت وباحت واستراحت بسرها
ومانطقت حرفاً يبوح به سر
فمالي لاأبكي، أم القلب صخرة؟
وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر

ويظل المعتمد رغم هول الفجيعة وقهر السجن، يطوي ضلوعه على نفس أبية، ويوصي أن تكتب على قبره بعد وفاته (٤٨٨هـ ـ ١٠٩٥م) هذه الأبيات:

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي
حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت
بالخصب إن أجدبوا بالري للصادي

بالطاعن الضارب الرامي إذا اقتتلوا
بالموت أحمر بالضرغامة العادي

بالدهر في نقم بالبحر في نعمٍ
بالبدر في ظلم بالصدر في النادي

نعم هو الحق وافاني به قدر
من السماء فوافاني بميعاد
ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه
أن الجبال تهادى فوق أعواد
كفاك فارفق بما استودعت من كرم
رواك كل قطوب البرق رعاد
يبكي أخاه الذي غيبت وابله
تحت الصفيح بدمع رائح غادي
ولاتزال صلاة الله دائمة
على دفينك لاتحصى بميعاد

ويصبح قبر المعتمد مزاراً، بعد زوال دولة المرابطين وقدوم دولة الموحدين، ويتجمع الناس حوله باكين معتبرين. وهل في وسع أمريء ذي قلب يتأمل مأساة هذا الأمير إلا أن تفيض عيناه من الدمع وتطفح نفسه بالأسى؟! وهل في وسع امرىء ذي بصيرة يتأمل مأساة هذا الأمر إلا أن يبصر العبرة ماثلة أمام عينيه؟

وبعد

لعل الله قد أراد أن يجعل من مأساة (المعتمد بن عباد) تكفيراً له عن خطاياه، وأن يجعل منها عبرة على مدى العصور، لكل مسلم له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وهل ثمة من يجحد أن العزة في وحدة هذه الأمة، وأن الهوان في تفرقها؟ وهل كانت مأساة ضياع الأندلس بالأمس ومأساة ضياع فلسطين اليوم إلا بسبب تفرق هذه الأمة؟!

فهل تلمُّ هذه الأمة، بعد شتات، صفوفها في صف واحد متراص؟ وهل تجمع هذه الأمة، بعد جفاء، قلوبها على قلب رجل واحد؟ وهل توحد هذه الأمة، بعد تفرق، كلمتها في كلمة واحدة تجلجل بالحق؟ عسى الله أن يجعل ذلك قريبا!

سمو الأمير : قلب الكويت كبير ويداها مبسوطتان تضم أبناءها إلى صدرها

لا يملك صاحب الحق إلا الصمود مستمداً قوته

يطيب «للوعي الإسلامي» أن تنشر نص كلمة سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح التي افتتح بها المجلس الوطني في أول دورة لانعقاده.. وإننا لنضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ للبلاد أمنها واستقرارها.

نص خطاب سمو أمير البلاد في افتتاح المجلس الوطني :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .
اخواني ،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
وبعون من الله تعالى وتوكل عليه ، نفتتح المجلس الوطني .
ولقد جاء مجلسكم الموقر ثمرة طيبة لحوارات مكثفة مع مختلف فئات



من إيمانه بربه ووطنه، ومن عون إخوانه.

الشعب ، وبه نفتح صفحة من التعاون التشريعي والتنفيذي للنقلة النوعية في التسعينات ، ولتمهيد الطريق أمام الغد المأمول للحياة النيابية .

ويُسعدني في هذه المناسبة أن أهنىء النواب المنتخبين على ما أولاهم الشعب من ثقة .

وأن أشكر النواب الذين أُختيروا للمشاركة في حمل الأمانة .

وأن أبعث بشكري لجميع الأخوة المرشحين والمواطنين الذين شاركوا في الحوار الوطني ، وأعطوه حيوية ووزنا واتساعا ، وسعوا في ظلال ايمانهم وبصادق وعيهم بمسؤولياتهم إلى صناديق الاقتراع ، يسجلون أصواتهم ، دون أن يصرفهم عن الواجب الوطني تردد أو فتور همة أو شدة حر .

وشكرا للجهود التي بذلتها الحكومة السابقة في حمل مسؤولياتها وفي ادارة الحوار الوطني ، وفي الاعداد لعملية الانتخاب والاشراف على مراحلها ، ولكل من قام بدور في التيسير على المواطن ليؤدي واجبه الانتخابي ، حتى جاءت النتائج التي نلتقي اليوم في رحابها ، متمنيا للجميع التوفيق والنجاح .

اخواني ،

إن من فضل الله تعالى أن أرى أمامي اليوم جيلا جديدا من أبناء الكويت يتقدم مع المجلس الوطني والوزارة الجديدة ليشارك في حمل المسؤوليتين التشريعية والتنفيذية في أكبر تجمع تشهده الكويت . وهو ثمرة جيل من الآباء له كل الاعزاز والتقدير .

وهكذا تبدو أجيال الكويت في تواصلها وتعاونها كروض طابت أصوله وفروعه ، وأينعت زهوره وثماره .

اخواني ،

إن الفكرة المحورية في المجلس الوطني أن يكون الأرض الصالحة لمراجعة تجارب الحياة النيابية ، والمشاركة في بناء الحاضر ، ورسم اطار المستقبل . وهذه دعائم ثلاث في مسيرة الكويت .

إن الماضي هو تجاربنا . نحن صنعناها . ونحن نُطورها بارادتنا ، وفق صالح مجتمعنا .

وإن تقييم الجهد المبذول في مرحلة سبقت ، هو الذي يدعو إلى الصعود به إلى مستوى أفضل . فالمراجعة تطوير مستنير .

أما الحاضر فأود أن تكون في مجلسكم الموقر قوة الجذب التي تجمع ولاتفرق ، والتي تستطيع مع تنوع ثقافاتها ، والتكامل بين الأعضاء ، والتعاون مع السلطة التنفيذية ، تستطيع بهذا كله أن تنظر إلى قضايا الحياة من زوايا متعددة . لها هدف كبير هو صالح الكويت في الأمن والاستقرار والتقدم .

وان في طرح الأفكار الايجابية المدروسة وتفاعلها ، ما يمنح حواركم حيوية ونموا .

ان هدف الحوار ليس انتصار فكر على فكر ، وإنما انتصار التقدم ذاته ، والصعود به إلى آمال المستقبل .

وأنتم مدعوون إلى العناية بالغد : ففي حياتنا المعاصرة لم يعد تخطيط المستقبل تطوعا ولا اختيارا ، وإنما هو فريضة الحياة لمن أراد الحياة . وإن التخطيط الشامل كيان له رأس تفكر وتطور ، وعينه على المستقبل ، وله قلب نابض بالحيوية ، وأقدام يسعى بها على أرض الواقع ، ويد قادرة على ترجمة

والصعود به إلى آمال المستقبل .

وأنتم مدعوون إلى العناية بالغد : ففي حياتنا المعاصرة لم يعد تخطيط المستقبل تطوعا ولا اختيارا ، وإنما هو فريضة الحياة لمن أراد الحياة . وإن التخطيط الشامل كيان له رأس تفكر وتطور ، وعينه على المستقبل ، وله قلب نابض بالحيوية ، وأقدام يسعى بها على أرض الواقع ، ويد قادرة على ترجمة

الفجوة العلمية بين الدول تشتد خطورتها كلما اتسعت . وان علينا أن نختصر الوقت بمضاعفة الجهد حتى نلحق بالركب الحضاري في ايقاعه المتسارع .

اخواني ،

إن المسؤولية النيابية تحتاج إلى الكثير من الحكمة والمصابرة ، وتحري أنسب القرارات لصالح الوطن ، في تشاور ولين جانب ، مع حُسن الافادة من الوقت ، والترفع عن الصراعات الشخصية وحساباتها ، وإن حاولت التستر برداء المصلحة العامة .

بهذا جميعا تؤتي أعمالكم ثمارها ، وتصبح قيمة مضافة إلى الحياة النيابية ، تزيد معالم الطريق وضوحا ، وتُرسي تقاليد كريمة في أخلاقيات الجهد الجماعي ، يتأسى بها الجيل الجديد ، وتزيده ثقة في المستقبل .

اخواني ،

لقد عشنا في هذا الوطن العزيز نبنيه من الداخل بيد ، ونحمل مسؤولياتنا الخارجية باليد الأخرى .

إن عيوننا وقلوبنا مشدودة على ما يجري في أرضنا المحتلة في فلسطين والتي يتمثل فيها وجهان : أنبل الوجوه في الكفاح الشريف من أجل الوطن وأرضه ، وتاريخه ومستقبله ، وأشرس الوجوه في محاولة ازهاق الحق واخراج أهله من ديارهم . ولازال الوجه الشرس يلقى العون البشري والمادي من قوى كبرى ، ولا ينال الوجه النبيل منهم إلا وعودا لا رصيد لها في عالم الواقع . ولا يملك صاحب الحق إلا الصمود مستمدا قوته من ايمانه بربه ووطنه ، ومن عون اخوانه ومن تأييد عقول وقلوب تُناصر حقوق الانسان قولا وعملا .

وعسى أن يفرغ الأخوة العرب والمسلمون من خلافات تستنزف قواهم وتعوق مسيرتهم ليصبحوا في تماسكهم وتراحمهم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وإن أملنا في لبنان أن تزداد خطواته ثباتا على طريق الوحدة الوطنية ليعود إلى سابق عهده في الأمن والاستقرار واجتماع القلوب .

وإننا لننظر بتفاؤل إلى المرحلة الجديدة من العلاقات بين الجارتين المسلمتين العراق وايران ، والتي تستهدف اقامة سلام دائم بينهما ، تتوثق به روابط الاخاء والتعاون على التقدم . هذا التعاون الذي لن تقتصر آثاره الطيبة عليهما وحدهما ، ولا على المنطقة فحسب ، بل ستمتد بعون الله تعالى

إلى العالمين العربي والاسلامي .

وإننا لنأمل في التسعينات أن تزداد خطوات مجلس التعاون الخليجي اتساعا وثباتا ، وأن تنعكس آثارها الطيبة على دول المجلس وشعوبها ، كما نتمنى لدول مجلس التعاون العربي ولاتحاد المغرب العربي كل نجاح وتوفيق في خلال هذا العقد .

ولازلنا نتابع الجهود بحكم مسؤولية الكويت عن رآسة الدورة الخامسة من منظمة المؤتمر الاسلامي ، في حل الخلافات بين المسلمين والحفاظ على حقوق الأقليات الاسلامية بالمودة والكلمة الطيبة ، وكان فضل الله علينا عظيما .

اخواني

إذا كان من قدر الله تعالى أن تعصف الزلازل بشمال ايران ويذهب ضحيتها الألوف من المواطنين ، وأن يختار الله سبحانه إلى جواره جمعا من حجاج بيت الله الحرام في حادث النفق الأليم فإننا نستودع الضحايا عند رب لا تضيع عنده الودائع . ونسأل الله لهم واسع الرحمة ، ولأهليهم الصبر وخالص العزاء واللطف في القضاء .

ولقد كانت قسوةالأحداث سببا في بروز روح التعاون الاسلامي والعالمي ، وأظهرت المعدن الأصيل الذي غشيته الخلافات حينا من الدهر . هذا المعدن الذي نرجوله دوام القوة والدفع إلى المزيد من الترابطوالتعاون .

اخواني ،

إن الكويت تحمل مسؤولياتها الداخلية والعربية والاسلامية . والدولية ، معتمدة على الله تعالى ، واثقة أن أبناءها على عهد الوفاء قائمون ، وان من يعيشون في رحاب هذا الوطن السمح يجمعهم ود يعبرون عنه بالعمل المنتج وتآلف القلوب .

وإن من فضل الله علينا أن دعم خطوط الاتصال التي تحمل الاخاء والعون بيننا وبين اخواننا في مناطق الشدة والبأس والحاجة ، وأن سعينا الدائب إلى الصداقة والسلام ، ملامح أساسية في حياتنا وسياستنا ، وإنها تعبير حي مستمر عن مواريث أصيلة وواجبات متجددة .

وان قدرتنا على الوفاء بهذا جميعا تقتضي منا زيادة العناية بتنمية الانسان الكويتي ، وتحصينه بالايمان والعلم والتقنية .

إن تطوير الحياة مستمر ما استمرت الحياة .وحياة الكويت ممتدة نامية ، وأنفاسها طيبة ترددها أجيال متتابعة متعاونة ،أنتم لها صورة

ومرحلة وأمل .

اخواني ،

وفي الوقت الذي يستبشر فيه العالم خيرا ، باتفاق الشرق والغرب ، على انهاء الحرب الباردة . ودعم التعاون الاقتصادي بينهما ، نخشى أن تكون دول العالم الثالث هي الخاسر الأكبر في هذا الاتفاق . وللأسف فقد بدأت المساعدات التي كانت تصل إليها تسلك طرقا جديدة لا تخرج عن دائرة الشمال المتقدم .

وبدأت الأزمات والصراعات والمشكلات تزداد في الجنوب ، والذي ستجد فيه شركات بيع الأسلحة أسواقا رائجة لبضائعها لاستنزاف موارده على حساب التنمية التي يحتاج اليها .

وكأن المعادلة أصبحت : تقدماً وسلاما في الشمال ، وتخلفا وحروبا في الجنوب .

إننا نعيش في عالم يعاني من انفصام الشخصية .

ونود أن تستقبل الانسانية عالما غير مشطور ، نلتقي فيه جميعا على صعيد الاخاء ، متحررين من الاطار الذي يرى الشمال قمة وصفوة قادرة ويرى الجنوب قاعا مقدورا عليه .

وليس أمام شعوبنا إلا الطريق الجاد والطويل . فالتقدم ليس هدية ولا منحة ، وإنما هو ثمرة غالية تنالها الشعوب بالجهد العلمي والتقني المنظم . وعلينا أن نقتحم العقبة لنجعل من آمال يومنا حقائق غدنا .

اخواني ،

في ختام كلمتي أود أن نتذكر جميعا :

ان قلب الكويت كبير . وان يديها مبسوطتان تضمان أبناءها جميعا إلى صدرها في اخاء كريم ، هو قبس من قوله تعالى «إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون» .

إن الكويت ليست لأسرة أو فريق أو طائفة . إنها كويت جميع الكويتيين ، يستوي في هذا من يعيشون على مشارف حدودها أو في وسطها . فلكل منهم حق وعليه واجب وكلهم عن الكويت مسؤولون .

أدعو الله أن يكون المجلس الوطني لتقدم الكويت عونا ونصيرا ، وأن تكون انجازاته لآمال المستقبل سراجا منيرا .

وفقكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفتاوى

مع التاريخ الهجري

قارىء من الكويت يسأل لماذا ابتدأ التاريخ الهجري بالمحرم مع أن الهجرة كانت في شهر ربيع؟

استشار الخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحابه في اتخاذ حادثة اسلامية هامة تكون مبدأ للتاريخ الاسلامي فقال بعضهم نتخذ مولده صلى الله عليه وسلم مبدأ للتاريخ الهجري وقال آخرون: نتخذ حادث الاسراء والمعراج ثم اتفقوا على ان الهجرة كانت منطلقا للدعوة وانتشار الاسلام فهي أحق أن تكون مبدأ للتاريخ الهجري فقال سيدنا عمر نعم الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها بالمحرم فانه منصرف الناس من الحج، ووافق الصحابة على ذلك فكان إجماعا على اختيار شهر الله المحرم بداية للعام الهجري
هذا أمر.

الأمر الثاني : ان شهر الله المحرم كان من الأشهر الحرم المقدسة في الجاهلية وكانوا يوقفون الحرب بين القبائل في هذه الاشهر تعظيما لها. ولما اعتدى أهل الجاهلية على المحرم بالتغيير والتبديل كما كان يفعل رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم وينادي في الناس قائلاً: إني لا أعاب، ولا أخاب، ولا مرد لما أقول اني حرمت المحرم وأخرت صفر ثم يجيء في العام المقبل بعده ويقول: إنا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فيمتنع القتال في صفر ويحل في المحرم.رد الله سبحانه عن شهره الحرام هذا الاعتداء وبين للناس أن التشريع حق الله وحده، لايحق لأحد أن يغير حسب هواه، وقال في محكم آياته «**إنما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لايهدي القوم الكافرين**» التوبة/ ٣٧ .

وبذلك عادت لشهر المحرم قداسته ومكانته الأمر الذي جعل الصحابة رضي الله عنهم يتخذونه مبدأ للتاريخ الهجري.

من أسرار الهجرة

شباب من بعض نوادي أسيوط في مصر طلبوا من المجلة بيان السر في أن هجرة سيدنا عمر كانت علنية وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في السر والخفاء مع ان الرسول أقوى يقينا وأشد ايمانا!

هجرة سيدنا عمر رضي الله عنه تعتبر تصرفا شخصيا منه وله كأي مسلم أن يتصرف بما يراه مناسبا له، وسيدنا عمر رأى أن يتحدى المشركين بهجرته علنا لمعرفته أنهم يخافونه ووضع سيدنا عمر يختلف تماما عن وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الرسول مشرع ولو اعلن الهجرة لحسب الناس أن هذا هو الواجب عليهم وبذلك يتركون أخذ الحيطة والحذر والتخفي عند الخطر، في اسلوب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم دروس نسير على هديها في مواجهة الأخطار العارضة، وذلك بأن نأخذ في الأسباب وندع النتائج لله. لقد اتخذ الرسول كل الاحتياطات التي تضلل العدو وتخيب أمله مع قوة ايمانه بان الله معه وان الله سيعصمه من الناس، أمره سيدنا عليا رضي الله عنه بالنوم مكانه وأن يتغطى ببرده كان سببا في تضليل المشركين، اختفاؤه في الغار سبب في نجاح الهجرة، خروجه متخفيا فوت على الأعداء فرصة التعجيل بقتله، في كل ذلك بيان للناس أن الايمان بالله عز وجل لاينافي اتخاذ الاسباب التي يربط الله بها النتائج حسب حكمته وارادته سبحانه. الهجرة سرا لم تكن بسبب خوفه من الناس وكيف يخاف الناس وهو يلقن أبابكر رضي الله عنه درس الثقة بالله والاعتماد عليه وهما في الغار وهو يقول له يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما؟ يا أبا بكر لاتحزن إن الله معنا!! ولما حاول سراقة اللحاق بهما طمعا في المكافأة المرصودة لمن يأتي به حيا أو ميتا لم يلتفت إليه ولم يقطع قراءته لأنه عمل ما عليه من الوسائل المادية ومابعد ذلك فهو بمشيئة الله وارادته لعل المسلمين في حاضرهم الاليم يتأثرون بهذه المواقف ليأتيهم النصر من عند الله.

عائـد مـن الحـج يســأل

أحد قراء المجلة يقول : كتب الله لي الحج هذا العام ورميت جمرة العقبة يوم العيد وطفت طواف الافاضة ورميت الجمرات ثـاني أيام العيد ولكني لم أرم اليوم الثالث لمرض منعني وسافرت فمـا الحكم؟ ويقول أيضا خرجت من مكة رأساً إلى عرفة ولم أبت في منى ليلة عرفة هل هذا جائز أم لا؟

هذا العائد ترك رمي اليوم الثالث يعني رمي الجمار الثلاث يوما واحدا وكان عليه أن يوكل من يرمي عنه مادام صاحب عذر وينتظر حتى يـرمي الوكيل ومعلوم أن التوكيل جائز للمرضى وكبار السن وأصحاب الاعذار من النساء والرجال تيسيرا عليهم ومادام السائل لم يوكل غيره ليرمي عنه فقد ترك واجبا وعليه دم يذبح في الحرم على أن ترك واجب من واجبات الحج لا يفسد به الحج وإنما يلزم به دم، وإذا كان صاحب السؤال قد ترك طواف الوداع فعليه دم أيضا لأنه ترك واجبا عند جمهور الفقهاء.

اما عدم المبيت بمنى وهو في الطريق الى عرفة يوم التروية فلا يلزم به شيء لأنه سنة بخلاف ترك المبيت في منى أيام رمي الجمار فانه يلزم به دم لأنه واجب عند جمهور الفقهاء.

هذا وليحاول من ذهب الى الحج الا يترك واجبـا من واجباتـه الا عند الضرورة حتى يفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وكان يقول «خذوا عني مناسككم».



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .
★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .
★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .
★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).
★ المملكة العربية السعودية : الرياض ـ الشركة السعودية للتوزيع
تلفون ٤٧٧٩٤٤٤
جدة ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ تلفون ٦٦٥٣٣٥٣
ص.ب: ١٣١٩٥
الدمام ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ تلفون ٨٢٧٢٥٧٥
سلطنة عمان : روى ـ شركة الطاؤوس ـ ص.ب ٨٦٧٦
هاتف ٧٩٦٦٣٦
★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .
★ أبو ظبي : دار المسيرة ص.ب: ٦٦٧٥ تلفون ٣٣٨٢٨٥
★ اليمن : **صنعاء** : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان
شارع علي عبد الغني ـ ص.ب: ١١٠٧.
عدن : كرتير ـ الوكالة اليمنية المتحدة ـ ص.ب ٤٣٦٨.
★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .
★ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

جه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة